

رحلة ابن زاكور الفاسي
المتوفى: (1120هـ / 1708م) المسماة:

نشر أزاهر البستان
فيمن أجازني بالجزائر وتطوان
من فضلاء أكابر الأعيان

الناشر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع - الجزائر

حي راديوز عمارة أ رقم 06 الحراش الجزائر

e-mail: maarifaintern@hotmail.fr

website: www.algerianbooks.com

هاتف : 0555025271

الإيداع القانوني : 2729-2011

ردمك: ISBN 978-9931-347-08-8



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

في اطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011






قال الإمام العلامة الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف بن أبي المحاسن :

[في الحض على الاعتناء بعلم التراجم والتاريخ]

«وكم من عالم عرَّف برجاله ، وأوسع الخَطْو في مجاله ، فإن لم نكن من تلك الحلبة ؛ فقد شملتنا تلك الألبة ، فلنا بذلك اكتفاء ، وحسبنا اتباع واقتفاء .

ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب ، وأبدوا في ذلك دون حاجب ، حتى أزروا بمن أقصر عن أدائه ، أو قصر في إبدائه ، ووسموا المغاربة بالإهمال ، ودَفْنِهم فضلائهم في قبري تراب وإخمال ، فكم فيهم من فاضل نبيه ؛ طوى ذكره عدم التنبيه ؛ فصار اسمه مهجورًا ، كأن لم يكن شيئًا مذكورا .

وإذا كان التنبيه من الواجب ؛ فمم يعجب العاجب ؟

"مرآة المحاسن من أخبار الشَّيخ أبي المحاسن" صفحة 98

ومن باب إبعاد ووأد هذه المقولة التي هي صحيحة في الواقع ، نهدي هذا العمل المتواضع لمحبي التراث ، وإلى كل القُرَّاء والباحثين في العالم العربي والإسلامي .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا   وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة   وعلم وآداب وصحبة ماجد

فإن قيل في الأسفار هم وكربة   وقطع فياف واقتحام شدائد

فموت الفتى خير له من مقامه   بأرض عدو بين واش وحاسد

وقال كذلك:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه   واتعب فإن لذيذ العيش في التعب

إني رأيت وقوف الماء يفسده   إن ساح طاب، وإن لم يجر لم يطب

والشمس لو وقفت في الجو دائمة   لملها الناس من عجم ومن عرب

والأسد لولا فراق الغاب ما افترست   والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى في معادنه   والعود في أرضه نوع من الحطب

الديوان

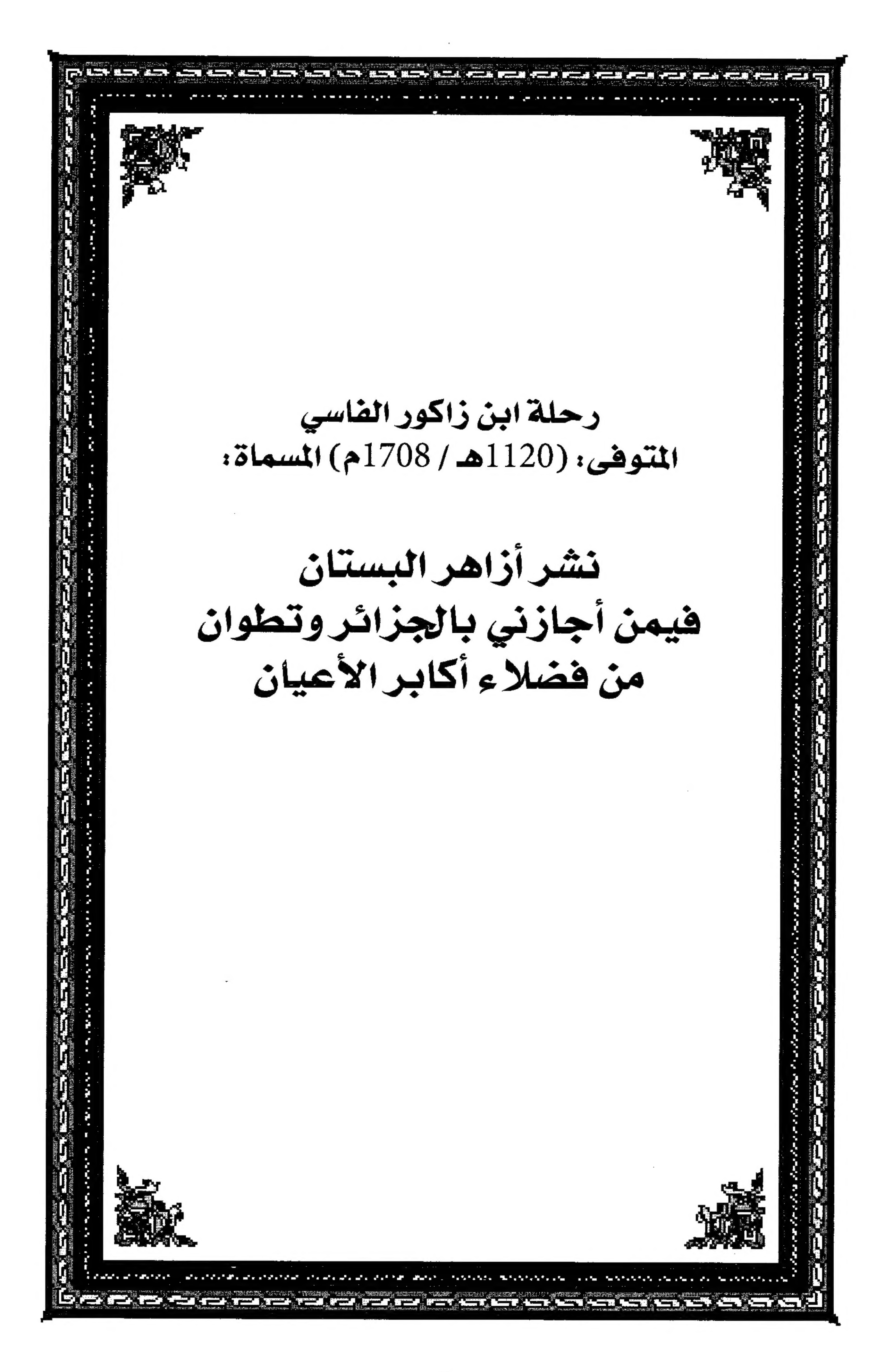
إهداء

إلى كل غيور على التراث العربي عامة، والمغاربي خاصة نهدي هذه الدرر النفيسة التي ظلت حبيسة الخزائن فلم يستفد منها - على قيمتها العلمية والتاريخية الكبيرة - إلا النادر القليل من المهتمين بالتراث.

وإن كنا شاكرين لأحد، فلا ننسى أن نشكر من وجدنا عنده نص الرحلتين: رحلة الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر التواتي الجزائري، ورحلة عبد الرحمن بن إدريس التواتي الجزائري، وهو الشيخ العلامة محمد باي بلعالم التواتي الجزائري، وكاتبه: عبد الله حامد الأمين، الذي مكننا من تصويرهما، فجزاهما الله عنا كل خير، وجعلهما خير قدوة لكل مالك لهذه الدرر من التراث ببذلها للباحثين للإفادة منها، والله المسؤول أن يتقبل منا ومنهم ومن جميع من ساهم في إخراج الكتاب.

وكتب المحققان:
سطيف الجزائر، بتاريخ: 01/ 01/ 2009
Histoire1919@live.fr





رحلة ابن زاكور الفاسي

المتوفى: (1120هـ / 1708م) المسماة:

نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان



تمهيد

يعتبر فن الرحلات من الفنون الأدبية الراقية التي اهتم بها العرب قديما وحديثا، لما فيها من أخبار، وغرائب، ومشاهدات، ومساجلات، ومناظرات، عاشها مؤلفوها، فكانت تستجلب القراء بفضول إلى معرفة الآخر، والبلدان البعيدة وأخبار سكانها.

عرفت الرحلة في الأدب العربي، منذ فجر النهضة، كفن أدبي بعدما كانت مجرّد ممارسة في الجاهلية تجارة أو بحثا عن كلإ أوماء.

وقد بدأ العرب بعد الفتح الإسلامي يتطلعون إلى ما وراء الجزيرة العربية، بل تمكّن منهم الشوق إلى معرفة مختلف الأوطان، ما فتح منها، وما لم يفتح، قرب أو بعد.

فلم تلبث الرّحلة حتى صارت فنّا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التّاريخية والجغرافية، واهتمامه بحياة النّاس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز غالبا عمّا سواه.

ويبرز التّنوّع في الرحلات، لا بمستواها الأدبي فحسب، بل بمنحاها التاريخي أو الجغرافي أو الإثنوغرافي في قوالب يتآزر فيها الجانب التعليمي بالإمتاع الأدبي.

إن فن الرحلة في أصله له اتصال متين بالجغرافية، إذ الكتب الأولى المؤلفة في هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة، وذلك أن الجغرافي كان أولا يطوف البلاد التي يود التكلم عليها، ويخترق مسالكها ويقف بنفسه على أحوالها، ثم يضع بعد ذلك

كتابه؛ لذلك سميت جل التآليف الجغرافية التي كتبت في القرون الأولى، "المسالك والممالك" وصارت هاتان الكلمتان تطلقان على علم الجغرافية عند العرب، كما سموه أيضا علم تقويم البلدان، والفرق بين كتب الرحلات وبين كتب المسالك والممالك، هو أن مؤلف الرحلة يذكر فيها ما يتعلق بنفسه، فينبه مثلا على تاريخ خروجه من وطنه، وعلى الأحوال التي أحاطت بسفره، مع الإشارة لأسبابه، ويثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيبته؛ وأما مؤلف المسالك والممالك فإنه يكتفي بذكر المسافات وبوصف البلاد التي يمر بها من الناحية الزراعية والتجارية، ويوصف أحوال الممالك السياسية والعمرانية، ولا يتعرض لنفسه إلا في القليل[1].

وقد قطع فنّ الرحلة في الأدب العربي مسيرة طويلة، منذ انطلاقته الأولى على يد أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي بكتابه: «البلدان».

ثم يأتي البيروني في فترة زخرت فيها الرّحلة بإبداع وتطوّر كحركة باتت ذات استقلالية، كنوع أدبي، وسرعان ما يعمّ هذا اللون منطقة الغرب الإسلامي، فيستلم المشعل الإدريسيُّ بكتابه المتميّز المعروف: «نزهة المشتاق في اختراق الأفاق» لغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية.

وجاءت بعده شخصية أخرى معتبرة وهو ابن جبير بعمله المعروف: «رحلة ابن جبير»، وقد خطت الرّحلة بعده خطوات متقدّمة، خصوصا برحلة ابن بطوطة الذي عبر أوطانا وقارات؛ فاحتلت رحلته أهمية كبيرة باتّساع رقعتها أولا وبمستواها الأدبي ثانيا، وبما حظيت به من اهتمام عالمي في النّهاية.

وقد جاء بعد ابن بطوطة؛ الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم: (Léon L'Africain) الذي ضاقت مساحة رحلته: (وصف إفريقيا) (Description de L'Afrique) عن سابقها، ولكنها أخذت أهميتها بالخصوص من شخصية صاحبها

---

1. محمد الفاسي، الرحالة المغاربة وآثارهم، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة الثانية 1958.

وحياته التي عرفت اضطرابات كثيرة خاصة بعد أسره، لذلك تعتبر رحلته ذات أهمية بموضوعها وبالظروف التي كتبت فيها، لأنه جاء في فترة وظرف حيث يكاد يعدّ بوجه عام آخر المؤلفين الكبار، في محيط الجغرافيا العربية ببلاد المغرب، وهو بذلك خاتمة فترة أدب الرحلة قبل عصر النهضة.

وبعد ركود، خصوصا في القرن العاشر الهجري (16م)، عادت الرّحلة للانتعاش في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من الهجرة، فاستأنفت منطقة المغرب العربي الإسلامي دورها، في فن الرحلة، بأعلام مثل: أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعياشي في رحلته المعنونة : «ماء الموائد» المعروفة بـ: «الرحلة العياشية»، بحيث يعتبر نموذجا لجميع مؤلفي تلك الفترة الذي لم يطرأ فيها أي تقدم في الميدان، وينتهي القرن القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري (18و19) برحلات ابن حمادوش والورثلاني[1]، وأحمد الناصري، وابن عمار، وأبي راس الناصري، وغيرهم وهم كُثر.

وقد تفوق المغاربة في هذا الفن ووضعوا فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها وأكثرها لا يزال مخطوطا، ومنها ما تعتبر ضائعة ولا تعرف إلا بالنقل عنها في كتب التاريخ والأدب والتراجم.

ويسرنا من باب إحياء التراث المغاربي، أن نقدم للقراء ثلاثة تحف من تراثنا ألا وهي رحلة ابن زاكور الفاسي المغربي إلى الجزائر العاصمة، في حلة جديدة بعدما ما مضى على طبعها أكثر من قرن.

ورحلة أبي حفص التنلاني الجزائري إلى فاس، ورحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر العاصمة، والتي شاهد فيها قنبلة الإنجليز لعاصمة الجزائر، اللتان كانتا في طي النسيان.

---

1) اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، عمر بن قينة 11.

ترجمة المؤلف

اسـمه: هو محمد بن قاسـم بن محمـد بن عبد الواحد[1] بن أحمـد[2]، أبو عبد الله بن زاكور الفاسي.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: عرف بابن زاكور.

نسبته ونسبه: الفاسي نسبة لمدينة فاس.

قال العلامة النسَّـابة الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني: بيت أولاد ابن زاكور معروف بفاس، تقدم فيهم العلماء والعدول وأهل الثروة وغيرهم، وهم فرق كثيرة.

ومنها: فرقة الفقيه العلامة المشـارك في المعقـول والمنقول صاحب الطول في الفقه والحديث والأصول المؤرخ محمد بن قاسم بن زاكور[3].

وقال ابنه العلامة النسَّـابة محمد بن عبد الكبير بن هاشـم الكتاني: لا يخفى على من له اطلاع في قبائل هذه الحضرة الفاسـية أن قبيلة أولاد ابن زاكور، من أشـهر بيوتات فـاس، قديـما وحديثا، ومدة اسـتيطانهم بها بما يزيد على الأربعمائة سـنة، سـلفت عن

1) رحلة ابن زاكور ص 55.

2) النبوغ المغربي 1 / 313.

3) زهر الآس 1 / 459.

تاريخه (أي ابن زاكور)، حسبما أفادني بذلك مطالعة الرسوم القديمة لأصول سكان هذه الحضرة الفاسية[1].

ولادته:

ولد أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي بمدينة فاس، في سنة غير معلومة من بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر[11هـ]، كما استنتج الأستاذ عبد الله كنون[2].

ولم يذكر أحد من المؤرخين أو من ترجموه سنة ولادته، بل توجد هناك بعض الاجتهادات في تحديد سنة ولادته.

فالمستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال يحددها في حوالي منتصف القرن السابع عشر ميلادي [17م] أي سنة 1650م الموافق لسنة 1060هـ[3].

والباحث الأديب المؤرخ عبد الله كنون يحددها بالربع الأخير من القرن الحادي عشر هجري [11هـ]، أي سنة 1075هـ الموافق لـ:1664م.

أما الأستاذ محقق كتاب: «تزيين قلائد العقيان بفرائد البيان «فحدد سنة ولادته بالتقريب سنة 1079هـ الموافق لسنة 1668م، ابتداء من سنة وفاة شيخه عبد القادر الفاسي سنة 1091هـ حيث قال: ويبدو أن قدراته العقلية المتازة وذكاءه المفرط، قد ساعداه على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية الضرورية، كألفية ابن مالك، والآجرومية، ومنظومة ابن عاشر، ورسالة القيرواني وغيرها، في سن مبكرة، الشيء الذي أهله لحضور مجالس بعض الشيوخ الكبار في مدينة فاس، أمثال سيدي عبد القادر

1) تحفة الأكياس 2 / 378.

2) تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان 1 / 9.

3) ProvenÇal Lévi, Les Historiens des Chorfa, p 287.

الفاسي (1007هـ/ 1091 هـ) الذي كان يتردد على مجلسه العلمي منذ صباه، قصد التبرك به والاستفادة من دروسه، كما نفهم من قوله (أي في رحلته):

«فأما البحر الزاخر، والطود الشامخ الراسي، الحبر الماهر: مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي -رضي الله عنه وأرضاه، وبديم المغفرة والرضوان أسقاه-، فقد كنت أجلس لسماعه متبركا، أيام كنت في أحلام الصبا مرتبكا، وأزور مجلسه العالي...».

وإذا علمنا أن وفاة الشيخ المذكور، قد كانت حدود سنة 1091هـ/ 1680م، ندرك أن سنه كانت حينذاك لا تتجاوز الثانية عشر على أكثر تقدير»[1].

أما الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، فيحدد سنة ولادته في أواسط القرن (11هـ). أي سنة 1050هـ الموافق لسنة 1640م[2].

أما محمد بن تاويت فذكر تاريخ ميلاده بـ: 1076هـ الموافق 1665م[3].

من خلال ما نقلت يمكن القول: أن ابن زاكور عند وفاة شيخه عبد القادر الفاسي كان عمره حوالي 15 سنة تقريبا، ونحن نعلم أنه رحل إلى الجزائر أوائل سنة 1094هـ، أي كان عمره حينئذ 18 سنة.

أما التاريخ الذي ذكره الأستاذ ليفي بروفنصال أي سنة 1060هـ، والأستاذ هاشم العلوي سنة 1050هـ، والأستاذ بوتشي السكيوي سنة 1079هـ، فمستبعد، لعدة أمور، فنحن نعلم حين قدومه للجزائر أوائل سنة 1094هـ، كان عمره 34 سنة، على رأي ليفي بروفنصال، و44سنة على رأي هاشم العلوي و15 سنة، على رأي بوتشي السكيوي، فنجد شيخه أبا حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي في إجازته

---

1) تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان (1 / 9).

2) التقاط الدرر 304.

3) الأدب المغربي 320.

له ينعته بـ: «بالشاب الأديب الأريب الحاذق اللبيب»[1]، والشاب المتعارف عليه، هو ما كان في سن ما بعد السابعة عشر، والله تعالى أعلم.

أما طرح الأستاذ هاشم العلوي القاسمي 44 سنة، وليفي بروفنصال 34 سنة، فمستبعد جدا لأنه لا يقال كذلك لإنسان عمره سنة (1094هـ) 44 سنة، أو 34 سنة، «بالشاب الأديب» وعرف أهل المغرب يأبى ذلك.

و نعلم كذلك أنه كان ينظم الشعر الجيّد منذ سنة 1092 هـ، ويقدم على التأليف سنة 1095هـ[2].

ونظم الشعر الجيد يصلح بشاب عمره سنة 1092هـ 16 سنة لا بطفل عمره 12 سنة أو 13 سنة، عام 1092هـ.

ومن كل هذه الآراء يمكن القول أن سنة ولادة ابن زاكور بالتقريب هي سنة [1076هـ/ 1665م].

والأقرب إلى الصواب هو قول الأستاذ عبد الله كنون، ومحمد بن تاويت.

نشأته:

وعلى الرغم من انعدام المعلومات الدقيقة عن أسرته ومستواها الاجتماعي والثقافي، وسكوت كل المصادر التي ترجمت له، أو أشارت لجوانب من حياته، بما فيها مؤلفاته، عن مرحلة تكوينه الأولى، فإننا نستطيع التصور بأن أسرته قد اهتمت بتربيته وتعليمه منذ نعومة أظفاره، ويبدو أن قدراته العقلية الممتازة وذكاءه المفرط قد ساعداه على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية الضرورية، كـ: « ألفية» ابن مالك، و«الآجرومية»، ومنظومة ابن عاشر، و«رسالة» القيرواني وغيرها في سنّ مبكرة،

---

1) رحلة ابن زاكور 8.

2) تزيين قلائد العقيان 1 / 10.

الشيء الذي أهله لحضور مجالس بعض الشيوخ الكبار بمدينة فاس، أمثال عبد القادر الفاسي[1].

بدأت بشائر نبوغ ابن زاكور مبكرا إذ وجدناه ينظم الشعر الجيد سنة 1092هـ، ويقدم على التأليف سنة 1095هـ، وقد تألق له ذلك بفضل كدّه واجتهاده، وحرصه الشديد على أخذ العلم من أفواه أشهر علماء عصره، وملازمة حلقات دروسهم، والارتواء من مختلف علومهم بشغف منقطع النظير، سواء في فاس أم في تطوان أم في الجزائر، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا من يقول عنه أنه: «كان يحفظ عدة تآليف منها : «تلخيص المفتاح»، و«جمع الجوامع» لابن السبكي، و«مختصر خليل»، و«كافية ابن مالك» و«تسهيله»، و«كافية ابن الحاجب»، هذا بالإضافة إلى إحرازه عدة إجازات علمية موثقة، من طرف شيوخه الذين يشهدون له فيها بالإتقان لكثير من الكتب العلمية الأخرى والتفوق فيها[2].

ففي الجزائر يختم جمع الجوامع من حفظه على شيخه أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي، ويمنحه إجازة في ذلك[3]، ويختم على شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسنى الجزائري «نظم أبي إسحاق التلمساني» في الفرائض، وصدرا من كتاب «جمع الجوامع» للتاج السبكي، وبعضا من «تلخيص المفتاح»، ويمنحه إجازة في ذلك[4].

ويسمع من الحديث جملة وافية من «الجامع الصغير»، وأبوابا من «صحيح البخاري» على شيخه أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة ويجيزه في ذلك[5].

1) تزيين قلائد العقيان 1 / 9.

2) تزيين قلائد العقيان 1 / 10.

3) رحلة ابن زاكور ص 8-5.

4) المصدر نفسه 16-11.

5) المصدر نفسه 27 - 28.

وبتطوان قرأ على شيخه علي بن محمد بن بركة الأندلسي «شرح جمع الجوامع» للإمام جلال الدين المحلِّي، و«ألفية الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن مالك»، و«مختصر الإمام خليل»، و«تحفة ابن عاصم»، و«صحيح البخاري»[1].

وبمدينة فاس لازم شيخه أبا عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، والإمام العلامة أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي لما ورد فاس سنة 1095هـ، والإمام أبا البركات أحمد بن الحاج الذي ختم عليه«مختصر الشيخ خليل» [2].

ونجده كذلك يطلب الإجازة في الطبِّ من شيخه أبي العباس أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، وينظم في ذلك أبياتا يطلب فيها قراءة «أرجوزة» ابن سينا[3].

وممن أجازه كذلك: أبو عيسى المهدي بن أحمد بن علي الفاسي صاحب«مطالع المسرات» [4].

تصدر ابن زاكور للتدريس بفاس منذ شبابه، وهذا ما يؤكده تلميذه ابن الطيب العلمي في قوله عنه: جلس للإقراء في شبابه، فأتى بيت التدريس من بابه، وتأسّى في الصلاح بأربابه، ولم يصب لربوبه ولأربابه (كذا)، فتكلم في المذهب، وذهب في التحقيق كل مذهب، وأوجز ما شاء وأسهب، وطاول في الفروع ابن القاسم وأشهب، وخاض في المعقول، فبهر العقول، ووقف التحقيق عند ما يقول، وتصدر في السيرة، وأحكام القرآن و تفسيره، وحرر حرز أمانيه[5] وتيسيره[6]، ونجا في الرواية

1) المصدر نفسه 55.

2) المصدر نفسه 63 - 64 - 65 - 66.

3) صفوة من انتشر 355.

4) فهرس الفهارس 1 / 186.

5) يقصد القصيدة اللامية المسماة: بحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، توفي سنة 590هـ، انظر الزركلي 5 / 180.

6) يقصد كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، توفي سنة 444هـ انظر الزركلي الأعلام 4 / 206.

من الغوايةِ، وألَّف في الأصول ما لم يزل به بين الأقران يصول، وقام للعَروض بالنوافل والفروض، ففكّ منه الدوائر، واختار المراقبة فبرئ من المعاقبة[1].

فهذه الشهادة الصريحة، ذات الدلالات العميقة والقوية على مدى تنوع ثقافة الرجل وشموليتها، وعلى مدى تضلعه في مختلف العلوم والفنون، وخاصة في مجالي: اللغة والأدب، وما يتعلق بهما من بلاغة وعروض، وقد تجلَّت مظاهر هذه الثقافة الموسوعيّة عنده، وهذا الميل الواضح إلى علوم اللغة والأدب في إنتاجه الغني، ومضامين معظم مؤلفاته الجيّدة، سواء من حيث الموضوعات، أو من حيث طريقة التأليف[2].

وتفوّق ابن زاكور في المجال الأدبي يرجع في الغالب إلى اجتهاده الخاص، وانكبابه على مطالعة المؤلفات الأدبية المختلفة، ودواوين الشعراء، وحفظ عيون القصائد الشعرية، منذ صباه، وهذا ما يفسر نبوغه المبكر في نظم الشعر الجيد، وكتابة النثر الفني الرفيع، وقد ساعده على ذلك وشجعه ثلة من الأدباء والشعراء، الذين التقى بهم أثناء رحلته إلى تطوان ثم الجزائر[3] ومراكش وسلا، والعرائش وزرهون ومكناس وصفرو وغيرها[4].

كان ابن زاكور متفوقا على أقرانه في تدريس الكثير من العلوم والفنون، بارعا في تلقينها، وحلّ مقفلاتها وتيسير فهمها، بمنهج الأستاذ الخبير، والعالم المتمكن، والأديب المتذوّق، وهذا ما جعله محببا إلى قلوب طلابه والآخذين عنه، ويمكن استنتاج هذا من خلال تسجيل بعض المؤرخين لتاريخ إنهائه لقراءة «تلخيص المفتاح»، وإدراجه ضمن الأحداث التاريخية البارزة.

---

1) تزيين قلائد العقيان 1 / 10.

2) المصدر نفسه 1 / 11.

3) المصدر نفسه 1 / 12.

4) المصدر نفسه 1 / 14.

قال الضعيف الرباطي: «وختم قراءة «تلخيص المفتاح»، -بعون الله الواحد الفتاح-، الإمام العلامة سيدي محمد بن قاسم بن زاكور، يوم الأربعاء آخر صفر الخير من سنة إحدى عشر بعد المائة والألف 1111هـ»[1].

شيوخه:

للمترجم شيوخ عدّة أخذ عنهم أثناء رحلاته إلى الجزائر وتطوان ومسقط رأسه فاس وهم:

1- أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري توفي سنة [1104هـ/ 1692م].

2 - أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري توفي [بعد سنة 1094هـ/ 1682م].

3 - أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري توفي سنة [1107هـ / 1695م].

4 - أبو الحسن علي بن محمد بركة توفي سنة [1120هـ/ 1708م].

5 - أبو محمد عبد القادر الفاسي توفي سنة [1091هـ/ 1680م].

6 - أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي توفي سنة [1116هـ/ 1704م].

7 - أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي توفي [1102هـ/ 1690م].

8 - أبو محمد العربي بن أحمد بردلة توفي سنة [1133هـ/ 1720م].

9 - أبو البركات أحمد بن العربي بن الحاج توفي سنة [1109هـ/ 1697م].

---

1) تزيين قلائد العقيان 1/ 14 - 15.

10 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني توفي سنة [1116هـ/ 1704م].

11 ـ عبد السلام القادري الحسني توفي سنة [1110هـ/ 1698م].

12 ـ أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي توفي سنة [1109هـ/ 1697م].

13 - إبراهيم العطار الأندلسي توفي سنة [1105هـ/ 1693م].

14 - سعيد بن أبي القاسم العميري المكناسي توفي سنة [1131هـ/ 1718م].

15 - عبد الرحمن بن محمد المدعو الرايس توفي سنة [1109هـ/ 1697م].

16 - أبو عبد الله بن خليفة الجزائري توفي سنة [1094هـ/ 1682م].

تلامذته:

1 ـ محمد بن عبد السلام البناني توفي سنة [1163هـ/ 1749م].

2 ـ أبو عبد الله محمد بن الطيب العلمي الحسني توفي سنة [1170هـ/ 1756م].

أقوال العلماء فيه:

نال ابن زاكور إعجاب أهل عصره من شيوخ وتلاميذ، لقوة حفظه وذكاءه المفرط.

فقد وصفه شيخه: أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي بـ: «... الشاب الأديب، الأريب الحاذق اللبيب...»[1].

كما قال عنه شيخه محمد بن محمد بن عبد المؤمن الجزائري: «...الفقيه النبيه، العالم الوجيه اللذوعي الأوحد، جامع الفضائل التي لا تجحد...»[2].

---

1) رحلة ابن زاكور 8.

2) المصدر نفسه 16.

وقال عنها أبو عبد الله محمد بن السعيد بن إبراهيم قدورة : «...العلامة النحرير»[1].

كما حلاه شيخه علي بن محمد بن بركة بقوله: «... الجهبذ الأريب، المصقع الأديب، الثقف اللقن، المتفنن، المشارك المتقن، الفقيه النبيه، الزكي الوجيه، ذو الفضل المعروف غير المنكور...»[2].

وقال عنه العلامة الأديب المؤرخ محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن الشريف العلمي الحسني الإدريسي: «...الأديب أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور، وحيد البلاغة، وفريد الصياغة، الذي أرسخ في أرض الفصاحة أقدامه، وأكثر وثوبه على حلّ المقفلات وإِقْدامَه، فتصرف في الإنشاء، وعطف إنشاءه على الإخبار، وإِخباره على الإنشاء، وقارع الرجال في ميادين الارتجال، وثار في معترك الجدال، ما شاء وجال، فهو الذي باسمه في الأوان هُتف، وهو الذي يعرف في كل العلوم من أين تؤكل الكتف...»[3].

وحلاه المؤرخ محمد بن الطيب القادري بـ: «...العالي العلامة الأديب القوال، الصالح الخير الجوال، الناظم البارع المشهور...»[4].

وقال عنه عبد السلام القادري : «...الفقيه الأديب البارع النحوي اللغوي المُجيد الأوحد، ذو التآليف العديدة والأنظام الكبيرة المفيدة....»[5].

وقال عنه ابن عبد الله محمد الطالب بن أبي الفيض حمدون ابن الحاج : «...العلامة الأديب اللغوي...»[6].

---

1) المصدر نفسه 28.

2) المصدر نفسه 55.

3) الأنيس المطرب مخطوط ورقة 12.

4) نشر المثاني 5 / 1937.

5) المورد الهني 94.

6) رياض الورد 2 / 37.

وقال عنه الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني : «...الفقيه العلامة المشارك في المعقول والمنقول، صاحب الطَّول في الفقه والحديث والأصول، المؤرخ الحافظ للمختصرات والدواوين...»[1].

وقال عنه محمد بن عبد السلام البناني: «...شيخنا العلامة المحقق المدقق، الأديب الشاعر المفلق، صاحب التآليف العجيبة، والتصانيف الأنيقة....»[2].

كما نختم بثناء ومدح شيخه -علامة عصره-، أبي علي الحسن اليوسي، لما طلب دواءات[3] في سفر، وصاحب الترجمة معه، فوجدها عنده مهيأة على أحسن ما ينبغي فامتدحه بقوله[4]:

لله در ابن زاكور وشيمته   وما أعدّ لجمع العلم من عدد

وقال عنه ابن مخلوف: « الإمام الفقيه العالم المشهور، شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، ووحيد البلاغة، وفريد الصياغة، المتفنن في العلوم، الحامل لواء المنثور والمنظوم»[5].

مؤلفاته:

ترك ابن زاكور آثارا علمية قيمة في شتى الميادين، وقد أحصاهم بوتشي السكيوي محقق كتاب: «تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان» فقال:

---

1) زهر الآس 1 / 459.

2) رحلة ابن حمادوش 58.

3) كذا في الأصل ولعلها: الدواة.

4) نشر المثاني ص 1938.

5) شجرة النور 330.

1 - تراجم وتاريخ

أ - الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العَلَم[1]. (في نسب المولى عبد السلام بن مشيش وذكر ما له من أولاد).

ب - نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، (فهرسته ذكر فيها شيوخه في الجزائر وتطوان، وبعض شيوخه في فاس).

ج - المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين[2].

2 - حديث وأصول

أ - الحلة السيراء في حديث البراء[3].

ب - معراج الوصول إلى سماوات الأصول[4]. (شرح لورقات إمام الحرمين في الأصول).

3 - طب

- الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة[5]. (تذييل لأرجوزة ابن سينا في الطب).

---

1) ما زال مخطوطا بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 3585. ويبدو أن ابن زاكور قد ألف هذا الكتاب استجابة لطلب «المولى إسماعيل» الذي طلب فيه من علماء فاس أن يحققوا نسب الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش. انظر رسالة المولى إسماعيل إلى سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في مجلة تطوان (عدد خاص بالمولى إسماعيل) ص 42 - 43.

2) طبع بفاس دون تاريخ، كما طبع بروما عام 1787م (عن الموسوعة المغربية)، وتوجد منه عدة نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1428 د، 905 د...

3) يذكر في المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

4) لا يعرف مكان وجوده.

5) لا يعرف مكان وجوده.

4 - توقيت

- الروضة الجنية في ضبط السنة الشمسية. (أرجوزة في التوقيت، وحساب أيام العام)[1].

5 - أدب ولغة

أ - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض[2]. (ديوان شعر).

ب - الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول[3].

ج - أنفع المسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل[4].

د - عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة[5].

---

1) لا يعرف مكان وجوده.

2) حققه د. العربي الحمداوي، رسالة جامعية مازالت مرقونة بكلية آداب فاس. وأعاد تحقيقه مرة أخرى الأستاذ محمد بن الصغير من أجل نيل دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب الرباط، ومازال مرقونا بخزانتها.

3) يذكر في المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن. ويبدو أنه كتاب مهم، ولذلك ذكره الضعيف الرباطي ضمن الأحداث البارزة لسنة 1103 هـ، قال: «وفي يوم الجمعة سابع ربيع الثاني من سنة ثلاثة بعد مائة وألف، فرغ الفقيه العلامة سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور من شرحه «الحسام المسلول لتحقيق معنى قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول»، انظر تاريخ الضعيف 75، (تحقيق الأستاذ أحمد العمري) ط. 1 سنة 1986 دار المأثورات.

4) تذكره المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

5) سجله منذ سنوات محمود محمد عيسى لينال بتحقيقه دبلوم الدراسات العليا بالرباط، بإشراف الدكتور عزة حسن، حسب ما ورد في مجلة أخبار التراث العربي، العدد الأول ص. 27، والعدد التاسع ص. 23. غير أنه فيما يبدو أنه تخلى عنه. وقد أخبرني الأستاذ الكاظمي أن بعض الطلبة قد سجلوه مشتركين بكلية اللغة العربية بمراكش منذ حوالي ثلاث سنوات، لينالوا بتحقيقه الدكتوراه الوطنية بإشرافه. وتوجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية، القسم الأول تحت رقم 77، والقسم الثاني تحت رقم 354. ويوجد القسم الثاني منه في خزانة الوثائق العامة بالرباط ميكروفيلم حمزاوية، تحت رقم 165.

هـ – تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان[1].

و – الجود بالموجود في شرح المقصور والممدود[2]. (المقصور والممدود لابن مالك).

ز – تفريج الكرب في شرح لامية العرب[3]. (لامية العرب للشنفرى).

ح – النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية[4]. (وهو شرح لمتن القصيدة الخزرجية في علم العروض لضياء الدين الخزرجي).

ط – الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع[5]. (بديعية صفي الدين الحلي).

ي – تقييد في شرح أبيات الحماسة[6].

وذكر له الشيخ خير الدين الزركلي كتابا آخر بعنوان : «إيضاح المبهم من لامية العجم» ثم قال : «... مع شرحها عندي»[7]. كما ذكر له الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله كتابا بعنوان : «كفاية اللبيب في التوقيت بعمل النسبة والجيب»[8].

---

1) ذكره ابن الطيب العلمي بعنوان «مقياس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد»، وبه سماه المتأخرون لا سيما المعاصرين نقلا عنه. ولست أدري من أين أخذ العلمي هذا الاسم، مع أن ابن زاكور قد عنونه في مقدمته بـ«تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان». وقد ذكر بهذا الاسم في كل نسخ الكتاب التي اطلعت عليها.

2) تذكره المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

3) طبع مع شروح أخرى للاّمية نفسها، لكل من الزمخشري، والمبرد، والعكبري، وابن عطاء المصري، ضمن كتاب بعنوان : بلوغ الأرب في شرح لامية العرب، جمع وتحقيق : محمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفان. دار الحديث 1989. وله نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، من بينها : نسخة تحت رقم 157 د ضمن مجموع، وأخرى تحت رقم 2136 د.

4) ما زال مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع تحت رقم 1081د، 2133 ك.

5) تم تحقيقه على يد الباحثة بشرى البداوي، التي نالت به دبلوم الدراسات العليا، بإشراف الدكتور علال الغازي. وقد طبع ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 53، سنة 2001 – 2002.

6) ذكره في كتابه عنوان النفاسة، القسم الأول، ورقة 33 ط. مخطوط الخزانة الحسنية.

7) انظر الأعلام 7 / 7.

8) انظر الموسوعة المغربية للأعلام 1 / 110.

وأظن أنه عنوان آخر لأرجوزة «لروضة الجنية في ضبط السنة الشمسية». كما ذكر لـه كتابـا آخر بعنـوان : «شرح النصيحة الزروقيـة»، إلا أنه عقب بقوله : «نسـبت له غلطا في فهرس مكتبـة تطـوان (483) وهي لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري»[1].

وفاته:

اتفق المؤرخون ومن ترجم لابن زاكور على سـنة وفاته باليوم والشـهر، فقد ذكر تلميـذه محمـد بن الطيـب العلمي أن وفاتـه: صبيحة يوم الخميس المـوفي عشرين من المحرم الحرام سـنة عشرين ومائة وألف [1120هـ/ 1708م]، وتبعه جلّ من أتى بعده، كالقادري والكتاني وغيرهم.

وقد رثاه تلميذه الطيب العلمي بقوله:

قضى أخو النظم والنثر ابن زاكور ... فـجـاد دمـعـي بمنظوم ومنثور

وللصاحب الشرقي في ذلك:

ما أنصف الموت في أخذ ابن زاكور ... لكن مــن الله تـصريـف المقادير

قـد كـان نـور العين حـين تبصره ... لمـا قـضى بقيت عيني بـلا نور[2]

تنبيـه : ذكر ابـن حمادوش الجزائـري أن وفاته كانـت سـنة 1122هـ[3]،حين نقله لفهرس شـيخه عبد السـلام البنـاني في رحلتـه، ولم يقل بهذا أحد غـيره، ولا ندر من أين الخطأ أمن عبد السـلام البناني، أم من عبد الرزاق بن حمادوش حين نقله لفهرس شيخه أم من النساخ؟، -والله أعلم-.

---

1) المصدر نفسه 1 / 111.

2) الطيب العلمي، الأنيس المطرب مخطوط ورقة 22.

3) رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري 58.

أدبه:

«لابن زاكور نثر علمي، وهو الذي نلمسه في كتبه العلمية «كشرح لامية العرب» و«شرح القلائد»، ونثر فني، وهو ما نجده في خطبه ورسائله ورحلته، ونثره تبدو فيه الأصالة والخيال المبدع، حتى لكأنه شعر منثور، وله ديوان من الشعر الجميل هو «الروض الأريض»، قلما نجد له مثيلا في رونقه، وسلامة أسلوبه بين دواوين الشعراء المغاربة، والذين عاصروه منهم على الخصوص.

1 ـ شعره:

نلمس في شعره أنه شعر ينمُّ عن ذوق أدبي سليم، وملكة مطبوعة، ويقول الأستاذ كنون: «وأما شعره فمنه ما هو جميل رقيق...، ومنه شعر علمي قريب من أشعار الفقهاء».

2 ـ نثره :

نجد نثر ابن زاكور لا يختلف في سلامته وخفة روحه عن شعره، ويلتزم فيه السجع، ولا يطيل الفقرات إلا في النادر، كما أنه في استعاراته وتشبيهاته وبديعياته مقتصد غير مُفْرِط، وشخصيته تبدو في شعره أقوى منها في نثره»[1].

كتابه الرحلة:

تنتمي رحلة ابن زاكور أدبيا إلى ما يسمى بـ: فهرسة الرحلة، فهي فهرسة تكتب في شكل رحلة، يسجل المؤلف ما رآه أثناء الرحلة، ويثبت فيها أسماء الشيوخ الذين لقيهم، وما استفاد في مجالسهم من علوم ومرويات، مع وصف جغرافي وتاريخي

1) الأدب المغربي 321 - 323 - 324.

للمناطق التي يمرّ بها، وهي ذكر للشيوخ الذين لقيهم المؤلف، ومجمل ما استفاد من رواياتهم ونصوص إجازاتهم[1].

طبعت رحلة ابن زاكور لأول مرة بالجزائر سنة 1902م، أي مضى على طبعتها أكثر من قرن بمطبعة فونتانة في 69 صفحة، مع مقدمة في ثلاث صفحات خصصت لترجمة ابن زاكور.

وأقدم عبد الوهاب بن منصور على طبعها أيضا بالرباط سنة 1967م، وطبعة الرباط صورة مطابقة لطبعة الجزائر، بدون تحليل أو تعليق أو فهرسة[2]، مع تقديم شحيح[3].

كما قام الأستاذ مولاي بالحميسي بطبع الجزء الخاص بالجزائر سنة 1981م، وهو أقل من نصف الكتاب.

أهمية رحلة ابن زاكور:

تعد رحلة ابن زاكور من أهم المصادر التي غطت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية في الجزائر، فالأخبار التي ذكرها في رحلته عن أحوال الجزائر -وخاصة علمائها-، أمثال أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وأبي عبد الله ابن خليفة، أصبحت مصدرا لمن أتى بعده كالحفناوي وعادل نويهض وغيرهم.

---

1) الترغي، فهارس علماء المغرب 94 - 95.

2) الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ص 19.

3) انظر: د، أحمد الطريبق أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي 2 / 553.

ومـن الأحداث المهمة التي ذكرها: الغارة الفرنسـية على الجزائـر، وتتميما للفائدة نذكر تفاصيل المعركة كما جاءت في المصادر الغربية:

غارة الأميرال دوكين (Duquesne) يوم 28 أوت 1682م:

بعد صلح نيمجين 1678م وعودة الهدوء النسبي في القارة الأوروبية، عادت فرنسا إلى سياسـة القـوة إزاء الجزائر، وبسـبب أسر الفرنسـيين لعدد من البحـارة الجزائريين ومطالبة الجزائر افتكاكهم، جرت مفاوضات رغبت فيها فرنسا بإضافة شروط جديدة عـلى اتفاق سـنة 1666م، وذلـك بالنص على عدم اسـترقاق الأسرى الفرنسـيين إذا أرادوا وتستروا بالعمل تحت راية دولة أخرى، وامتدت المفاوضات حتى سنة 1680م واسـتقبل الـداي بعثـة فرنسـية وأبدى اسـتعدادا طيبا للاتفـاق، وقـام بإطلاق سراح الأسرى الفرنسـيين، ولكن فرنسـا رفضت تسليم الأسرى المسـلمين فأعلنت الجزائر الحرب، وبدأت السفن الجزائرية تهاجم السفن الفرنسية ملحقة بها أضرارا فادحة.

يقـول المـؤرخ الأمريكي جـون ب.وولـف في كتابه، الجزائـر وأوروبا : «ففي سـنة 1682م أبحـر أمـير البحر دوكين عـلى رأس أسـطول عظيم متوجهـا إلى الجزائر، مع الأوامر بتخريب المدينة عن آخرها. لقد كان الفرنسـيون معتمدين على سـلاح جديد، وهـو مدفع الهاون، الـذي ابتدعه: س. رينـو ديليكاغـاري (S.Renau D'Elicagaray)، وهو مدفع يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة تقدر بـ: 700 تواز (Toises) حوالي: 1.350 متر من المفروض أن تحطم أي بناية تكون في واجهة المتفجرات.

إن هذا السـلاح سيسـتعمل عما قريـب في الأراضي المنخفضـة وفي جنوة، لفرض الإرادة الفرنسية عن طريق الإرهاب، ولمعاقبة أي عصيان للملك الفرنسي.

وصل أسطول دوكين إلى شرشال في 25 يوليو، فقنبل هذه المدينة الصغيرة وأحرق سفينتين.

وفي 29 يوليـو كان أمـام الجزائـر، ورفض أن يتفـاوض، لقد جـاء لمعاقبة الجزائر علـى مجازفتهـا في إعـلان الحرب ضد فرنسـا، واسـتمر قصف المدينة مـن 20 إلى 22 أغسـطس، ثـم يـوم 26 أيضـا، ولكنـه لم يتسـبب إلا في أضرار خفيفة، فقد سـقطت القذائـف دون هدفهـا نظرا لرداءة البارود، وفي 30 من الشـهر أطلقت مدافع الهاون مائة وأربعين قذيفة أصابت المدينة، وفي الثالث من سبتمبر حاول الجزائريون الهجوم على السـفن الحاملة للمدافع، ولكنهم أجبروا على التراجع. وطلب الداي الشروط، ولكن دوكين رفض التفاوض، وفي الثاني عشر من سـبتمبر أبحر الأسـطول الفرنسي بعيدا مع نية الرجوع في الربيع الموالي.

إن القصـف قـد أودى بحياة حوالي 500 شـخص وهـدم حوالي 50 بنايـة. وعندما رجع الفرنسيون في السنة الموالية، كان دوكين خشنا خشونته السابقة، فقد رفض أن يقدم كرسيا للقسيس فاشي (Vacher) الذي كان طاعنا في السن ومريضا، عندما جاءه القسيس المبعـوث إلى السـفينة عارضا عليه عروض المفاوضة من الـداي، بل إنه أهانه بقوله: "إنه كان تركيا أكثر منه مسيحيا. وقد رد عليه الأب فاشي فقط بقوله: "إنني قسيس".

والقصـف الـذي أعقب ذلـك كان أكثـر فعالية من قصـف السـنة الفارطة، وقد عـرض بابا حسـن أن يقبل أي شرط، وأرسـل الرهائن إلى دوكـين، وأعاد مئات من الأرقاء الفرنسـيين بدون دفع الفداء، ولكن عندمـا تصعب دوكين في الشروط بطلبه دفع أموال طائلة كتعويض (قدره 700 ألف فرنك)، احتج بابا حسن بأنه لا يستطيع أن يوفر هذا المبلغ الكبير من النقود، وأثناء سوء التدبر الذي حدث بعد ذلك، عرض ميزو مورتو، وهو أحد الرهائن لدى الفرنسيين وأكثر الرياس تأثيرا أن يجد حلا لأي مشـكل إذا ما سمح له فقط بالنزول إلى الرصيف، وقد فعل فجمع من حوله الرياس ومعظم المليشـيا، واغتال بابا حسـن، وجعل نفسـه دايا منتخبا، ثم أعلن أنه سيقذف من أفواه المدافع كل الفرنسيين في الجزائر إذا استمر دوكين في القصف.

وعندما استأنف دوكين القصف، ربط الجزائريون القسيس فاشي وغيره من القساوسة والمواطنين الفرنسيين إلى هذا المدفع[1] وقذف بهم شذر مذر[2].

وكان وضع دوكين صعبا، فالداي ميزو مورتو غير مستعد للتفاوض، واستمر القصف الذي أدى إلى إعدامات أخرى للفرنسيين.

أدت قنبلة دوكين بأضرار للمدينة ولكنها لم تخرب، ويقال أن دوكين ذهب إلى فراشه وترك إدارة العمل إلى مساعديه الذين سرعان ما فقدوا الثقة في قيادته، أنه لم يستطع أن يهدم الجزائر، إذ ليس له لا المشاة ولا المدفعية الضرورية للنزول إلى البر والهجوم. وأخيرا أبحر دوكين إلى فرنسا، تاركا الجزائر في خرائب يتصاعد منها الدخان، ولكنها لم تركع.

وقد كتب القنصل الإنكليزي، ريكوت إلى اللورد دارتماوث (Dartmouth): «انظر كم هي قليلة المبالاة التي أعطاها هؤلاء الناس إلى القنابل الفرنسية التي أحصيت عددها فكان حوالي 6 آلاف، وأوفى المعلومات التي حصلت عليها تقدر عدد الدكاكين والمنازل التي هدمت بـ: 800»[3].

اضطرت فرنسا بعد هذا الفشل إلى العودة إلى فكرة السلام التي كان ينادي بها دينيس ديسو، وكان دبلوماسيا يعرف لغة التفاهم مع الجزائريين.

عملنا في الكتاب:

لقد طبع الكتاب مدمجا متداخلا يصعب على القارئ الفصل بين شيوخ ابن زاكور وشيوخ شيوخه، ولذا تلخص عملنا فيما يلي:

---

1) ويسمى: «المدفع القنصلي» كان من صنع أحد رجال البندقية سنة 1572 م، ويمكنه أن يقذف القذيفة على مسافة 2500 تواز (Tois) حوالي(4800متر) مع دقة متناهية، ولما استولى الفرنسيون على الجزائر سنة 1830 م نقولوه إلى فرنسا ويوجد الآن في أحد متاحفها، انظر جون وولف الجزائر وأوروبا 345.

2) انظر ملاحق رحلة ابن زاكور.

3. جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 340 – 346.

1 – إعادة تصفيف الكتاب –بما يسهل على القارئ فهم النص–، وإعادة تنظيمه في فقرات.

2 – إضافة عناوين فرعية مع وضعها بين معكوفتين [ ]، على أنها إضافات وليست من صلب الكتاب.

3 – توضيح بعض ما أشكل في النص من معاني الكلمات الغريبة.

4 – عزو الآيات القرآنية.

5 – تخريج الأحاديث النبوية.

6 – ترجمة الأعلام الموجودة في النص قدر الإمكان.

7 – تقديم الكتاب بدراسة عن حياة ابن زاكور.

رحلة الشيخ ابن زاكور الفاسي

المسماة نشر ازاهر البستان

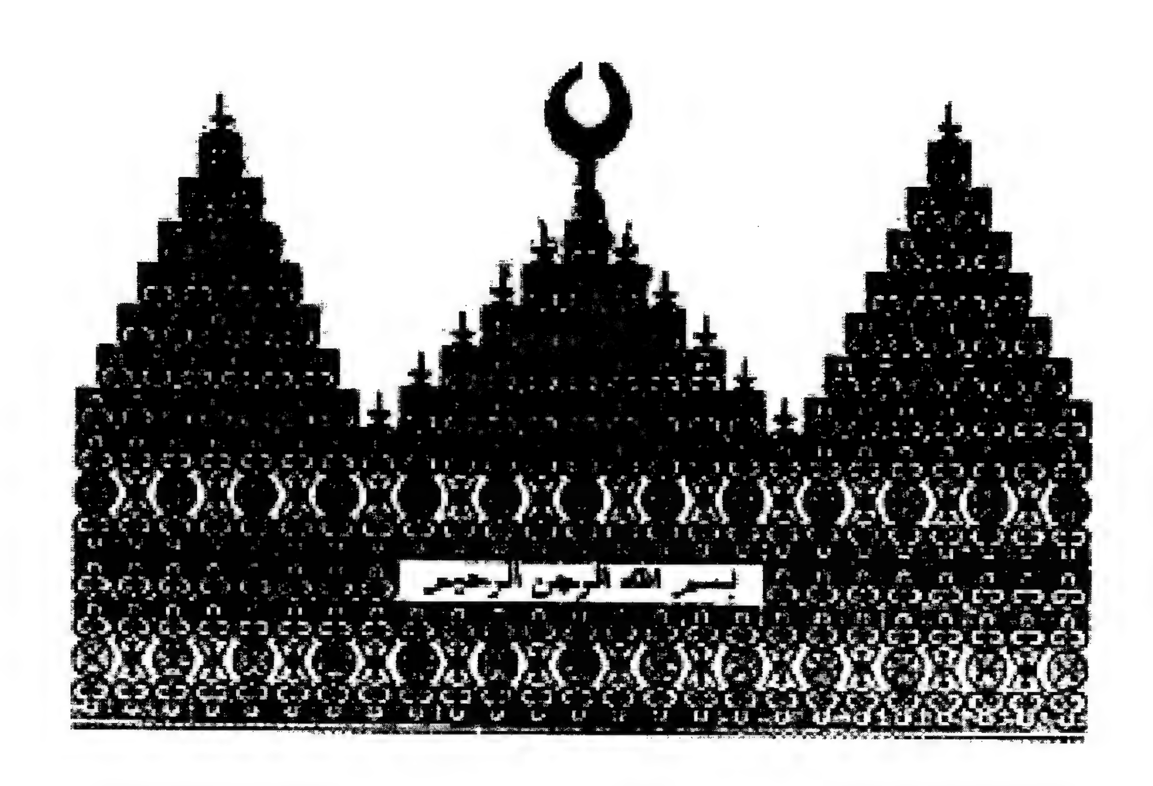
فيمن اجازني بالجزاير وتطوان

رحمه الله رحمة واسعة



طبع بمطبعة بونتانة بى الجزائر

صفحة الغلاف



ان اجمل ما حبرت به انفاس الاقلام * تمارق الطروس * واكمل ما ابرزت به انفاس الاعلام * حدائق الدروس * حمد عالم الغيب والشهادة الملك القدوس * الذي البسنا من مطارف الادب اجمل لبوس * وجعل في لقاء اكابر الائمة * من اعلام هذه الامة * ارتياح النفوس * وانزياح البوس * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الطاهر * العلم الظاهر * المصطفى من ذوي الفضل المحسوس * الذي يفزع اليه في شدائد اليوم العبوس * صلى الله وسلم عليه وعلى ءاله الطيبين * واصحابه الغر المحجلين * الراقصين من ابرار الذين كل شموس * الباهرين بانوار اليقين اشعة الشموس * صلاة وسلاما دائمين دائبين يجري نفوسها الاعطر ويجوس * مانق من نسمات الازاهر وابيق من نفحات عروس * ما تاقت نفوس * الى الظل من حياض البراعة بكئوس *

وبعد فان الرحلة * منة من الله ونعمة * تكسب الغليظ الطباع * غاية الرقة والانطباع * وتعقب من كابد لها نصبا * علما غزيرا وادبا * وانه لما حسن

الصفحة الأولى من الكتاب

[illegible] وليس [illegible] الذلهم

[illegible] الا

[illegible] وصلى الله وسلم على نبينا محمد النبي المصطفى [illegible] على آله

[illegible] الراسخين نجوما في ديجور الخطب البهيم • صلاة [illegible] دائمين

لا ينقطع نفعها ولا يريم • ما هاج نسيم • ونم باسرار الازهار نسيم • قال

كاتبه • جمعت اليه مراكب الاحسان ومعاقبه • قد انتهى والحمد لله

ما قصدته • وازدهى بدر تمامه كما اردته • واذا تجلى نوره للعيان • ونفثت

نشر ازاهر روضه الرائق الافنان • فلا بأس ان اعنونه بنشر ازاهر البستان • فيمن

اجازني بالجزائر وتطوان • من فضلاء اكابر الاعيان • وكان الفراغ من

تسويده صبيحة يوم الخميس سابع عشر جمادى الاخرة من سنة خمس وتسعين

والف بمنزلي من مولانا ادريس نفعنا الله به من بلد • ابقاها الله عامرة الاجلاس •

طاهرة من انجاس الارجاس • بمنه وطوله انتهى نسخها بحمد الله تعالى على يد

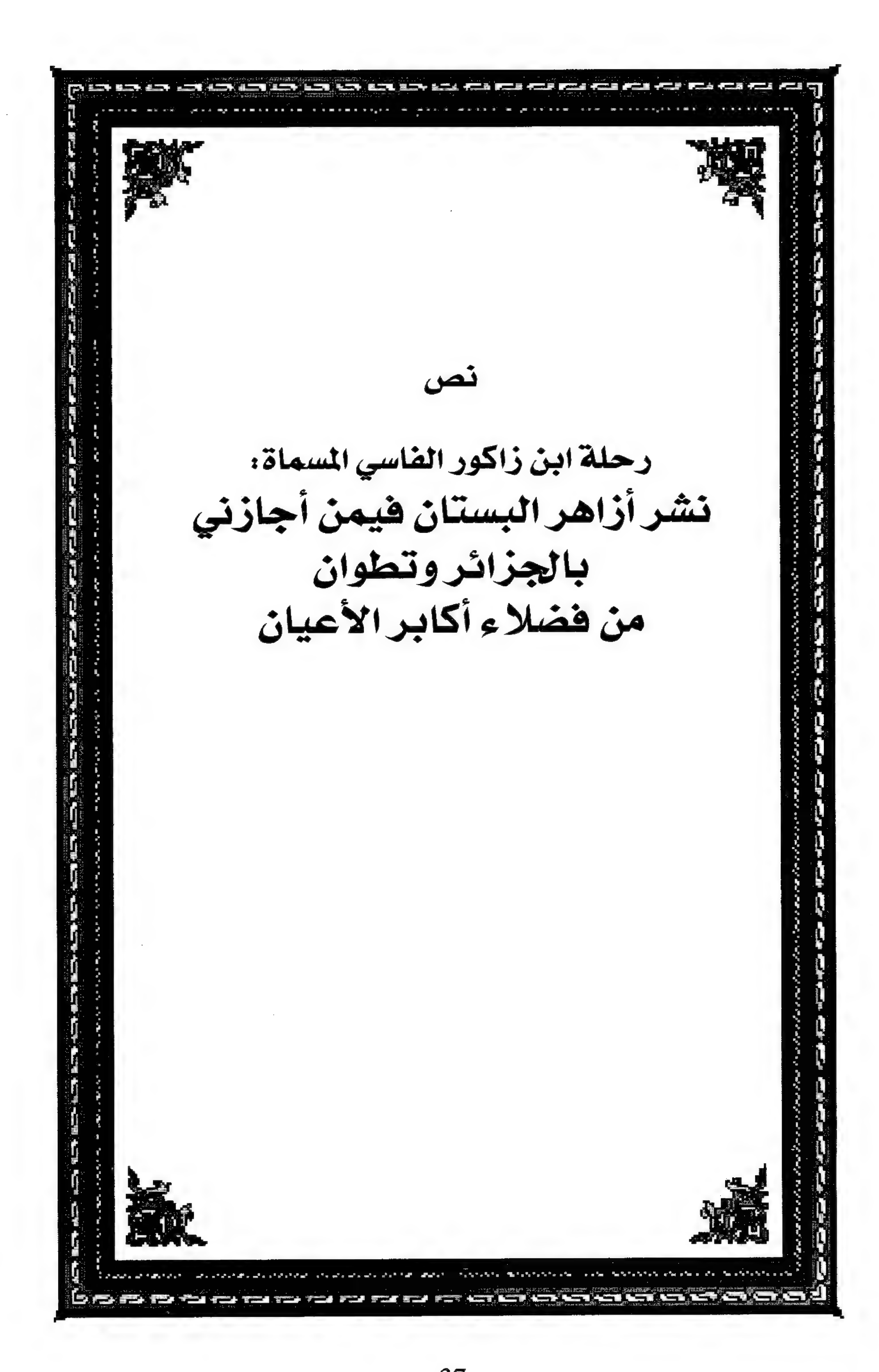
مسودها ومنشئها افقر العبيد • الى ذي العرش المجيد • المذنب الازور •

المتبرى من علله الاثور • محمد بن قاسم بن محمد الفاسي معروف بابن زاكور •

كان الله له ولوالديه ولسائر المسلمين صبيحة يوم الخميس لثمان خلون من رجب

سنة خمس وتسعين والف منحنا الله خيرها • ووقانا ضيرها •

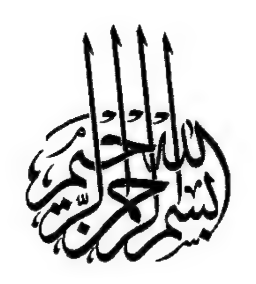
الصفحة الأخيرة من الكتاب



نص

رحلة ابن زاكور الفاسي المسماة:

نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان



إنَّ أجمل ما حَبَّرَتْ به أنفاسُ الأقلام نمارقَ الطروس[1]، وأكمل ما أبرت به أنفاسُ الأعلام، حدائقَ الدروسِ، حمد عالم الغيب والشهادة، الملك القدوس، الذي ألبسنا من مطَارف[2] الأدب أجمل لبوس، وجعل في لقاء أكابر الأئمة من أعلام هذه الأمة ارتياح النفوس، وانزياح البوس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الطاهر، العلم الظاهر، المصطفى من ذوي الفضل المحسوس، الذي يُهرع إليه في شدائد اليوم العبوس، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغرِّ المحجلين، الرَّائِضين من أفراس الدين كل شَموس[3]، الباهرين بأنوار اليقين أشعة الشموس، صلاة وسلاما تامّين دائمين يترى نشرهما الأعطر ويجوس، آنَقَ[4] من نسمات الأزاهر؛ وأعبق من نفحات عروس، ما تاقت نفوس إلى العَلَلِ[5] من حياض البراعة بكئوس.

1) الطرس: بالكسر الصحيفة أو التي محيت ثم كتبت ج أطراس وطروس.

2) المطارف: الأردية.

3) شَمَسَت الدابة والفرسُ تَشْمُسُ شِماساً وشُمُوساً وهي شَمُوسٌ شَرَدتْ وجَمَحَتْ ومَنَعَتْ ظهرها وهو كناية على تسهيل الصحابة أمور الدين الصعبة.

4) أنِق كفرح بالشيء: أعجب به، وآنقني: أعجبني، ومعناه هنا: أعجَبُ.

5) العلل: الشرب.

وبعد: فإن الرحلة منّة من الله ونحلة، تُكسب غليظ الطباع[1]، غاية الرقة والانطباع، وتُعْقِبُ من كابد لها نصبا، عِلْمًا غَزِيرًا وَأدبا.

[وصف لمدينة الجزائر ومدحها]

وإنه لما منّ عَلَيَّ المولى الكريم، ذو الفضل السابغ العظيم، بدخول مدينة الجزائر، ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النَّواضر، التي غصّ ببهجتها كل عدوّ كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تُعْهَدْ في الزّمن الغابر، أبرأني من غليلي ووجدي ما عاينته من روائها العسجدي[2]، وبحرها اللاّزوردي[3]، إذ هي كما قيل:

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةَ رِيشِهِ الطَّاوُوسُ

ما شئت من حدائق، كالنمارق، وَقُصُور نوع المحاسن عليها مقصور، والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضيّة الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقا، وألبسها نضرة وإيراقا، وأبداها للعيون آنق من جيرون[4]، غُرَرُ أعلام ينجلي بهم الإظْلاَم، وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمّة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كَالجبال، وأحبار كالأقمار، طلعوا في بروج سعودها بُدُورَا، ألبسوها رَواءً ونورا، فَاهْتَدَيْتُ بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنيّة، ورتعتُ في رياض آدابهم

---

1) في الأصل: الغليظ الطباع.

2) العسجد: الذهب وقيل هو اسم جامع يطلق على الجوهر كله كالدر والياقوت.

3) اللازوردي :لازورد معدن مشهور يتولد بجبال أرمينيا وفارس أجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة يتخذ للحلي وله منافع في الطب.

4) جيرون: هو بنيان عظيم، عليه أبواب من نحاس عجيبة بناه جيرون بن سعدي بن عاد حَلّ بدمشق فمصَّر مصرها، وجمع عدد الرخام والمرمر إليها؛ وشيد بنيانها، وسماها: إرم ذات العماد انظر مروج الذهب 1 / 222.

فتمَتَّعْت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضّلعت، وكرعت[1] في أنهار بلاغتهم حتى رويت، وهصرت[2] من أفنان براعتهم ما هويت، ونسيت ببشرهم وتَأنيسهم، وما اقتبسته من المعارف في تدريسهم، ما عانيته من رهج[3] القفار، وقاسيته في لجج البحار.

ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البِّر من أهلي حسبتهم أهلي

فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار، إلى أن أشعر كبدي بالانصداع، داعي الوداع، وأصابني من الوجد شبه الجِنَّة [4]، عندما عزمت على الخروج من تلك الجنَّة، ولما أَزِفَ الرحيل، واستعمل عزمي في أسبابه العَنَقَ والذَّمِيل[5]، التمست ممن اصطفيته من أولئك الأخيار، أن يكتب لي من إجازته ما أطاول به الأحبار، فَسَوَّغَ لي من اعتمرت بمطافه، ما ترشفته من نُطَّافه[6]، وأجاز لي من اهتديت بمناره، ما أقبسني من أنواره، وقد أردت أن أذكر من حلاهم في هذه الأوراق، ما تحسده الجواهر في الأطواق، وأنقل إِثْرَ ذلك إجازة من أجاز، وأباح لي الرواية عنه في الحقيقة والمجاز، والله أرجو في إتمام ما قصدته، ومنه أَسْتمِدُّ الإعانة على الذي سردته، لا إله سواه، ولا مانع لما أعطاه.

[ذكر أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري]

فممن أقبسني بكلتا يديه، وأجاز لي رواية ما لديه، العَلَمُ الأشهر، والحَبْرُ الأكبر، حائز الشرَفَيْنِ: العَرَضِيِّ والذَّاتِّي، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي[7]،

---

1) الكرع: هو دخول النهر والشرب منه.

2) الهرص: الجذب.

3) الرهج: هو الغبار.

4) الجِنَّة: الجنون.

5) الذَميلُ: ضربٌ من سير الإبل، قال أبو عبيد: فإذا ارتفع السيرُ عن العَنَقِ قليلاً فهو التزيُّدُ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذِميلُ ثم الرَسيمُ. يقال: ذَمَلَ يَذْملُ ويَذْمِلُ ذَميلاً.

6) النُّطافة: القليل من الماء وقيل الماء الصافي قلَّ أو كثر.

7) توفي سنة 1104هـ، انظر: عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص 318.

أبقـاه الله، ونضّر مرآه، هو بقية السـلف، وبركة الخلـف، الذي حمى الله به ذلك القطر مـن التّلـف، إذ عليه المدار، في السِّـير والأخبـار، وإليه المرجـع، في كل خطب مُفزع، وإحكامـه لقواعد العلوم، هو الـذي أمطاه قُنَن[1] النجوم، وأعطـاه شرفا غير مروم، لأنـه يصـول بنصول الأصول، ويطول عـلى كل ذي منطَق، بذوابـل الجدل وصوارم المنطِق، إلى شـمائل؛ كنسـمات الخمائـل، وهمة، أكسـبت الدهر غُمَّـة، وفصاحة رايقة؛ وبلاغـة فائقة؛ إذا حدَّث أو أملى، فما أبدع وما أحلى، وإن اسـتطرد في درسـه حكاية، لتنميق رواية، كان ذلك أعذب وأسوغ، من منادمة الظبي الألثغ:

يـقـود عـصـابـات الـقـلـوب بيانه   فلـولا تُقَـاهُ كنـت أحسـبه سِـحْرَا

على أنه دنا من أرذل العمر واقترب، وبات من وِرْدِ الثمانين على قرب، فما ظَنُّكَ به إذْ بُرد عمره نضير، وبدر شبابه مستدير، وروض فتائه مورق، ونور ذكائه مونق، وقد أَفصَحْتُ عن علاه، في قصيدة طَرَّزتها ببعض حلاه، وأنشدتها بين يديه، يوم ختمي «جمع الجوامع»[2] عليه، وهو يوم السبت الرابع [4] من جمادى الأولى من شهور سنة أربع وتسعين وألف [1094هـ / 1682م] وهي هذه:

[مدح المؤلف لشيخه عمر بن محمد المانجلاتي]

حيّ على الأنس أن طيف الهموم سرى	وسَلِّ نفسك وانهج نهج من صبرا
ولا تصخ لدواعي البثّ إن صدَحَتْ	إنّ دواعيـه تسـتجلب الضـررا
واذكر معاهد قد راقت نضارتهـا	فَـإنّ في ذكرهـا أُنْسًـا ومعتـبرا
لله منهـا أصيـلان جنيـت بهـا	في روضة اللّهو من نخل المنى ثمرا

1) قُنَّةُ كلِّ شيءٍ أعلاه.

2) جمع الجوامع كتاب في أصول الفقه تأليف عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين الشافعي توفي سنة 771هـ انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ج 2 / 425.

إذ الأحبّة يعدو عن وصالهم   بُعْدٌ يؤَجِّجُ في أحشائنا سقرا

حيث ائتلفنا ولا واش ينمّ بما   نلنا عدا الأَعْطَرين الورد والزّهرا

ولا رقيب على الأفراح يحسدنا   دان خلا النَّيرين الشمس والقمرا

وزَهْوُنا بتلاقينا وأُلْفَتِنا   أغرى بنا الأَعْجَمَيْنِ الطير والوترا

فصاح ذاك على أفنان دوحته   حَيَّ على الأنس أن طيف الهموم سرا

وبثَّ ذا ببَنَانِ الَّذْ يُحَرِّكُهُ   خُذْ مَا صَفَا لَكَ وانبذ كل ما كدرا

والبحر مثل مذاب التبر حاك به   كفُّ النسيم دروعا حُسْنُهَا سحرا

والورق تسقط في أمواجه دررا   كما سقطت على بحر العلا عمرا

حبر الجزائر والدنيا برمتها   من عالج العلم حتى ذاع وانتشرا

بدر الجلال ومصباح الكمال وَمِقـ   باس الجمال الذي كلَّ الورى بهرا

شيخ أحاط بأنواع المديح فما   أبقى لمن بعده شيئا وما وذرا

إن تنم أَهل العلا إلى محاسنه   تجد جميعهم من بحره نهرا

ذو همّة شغفت بالمجد كالِية   حم بها أحد النسرين فانكدرا

إلى شمائل أزرت بالنسيم ضحى   وخلق كالخلوق قد هفا سحرا

من يُبلغ الأهلَ أَنّي بعد بَيْنِهم   جَالَستُ بَدْرَ هُدًى بِالشَّمْس مُعْتَجِرا

وقد ظفرت بما قد كنت آمله   لما قَضَتْ مُنْيَتي من نوره وطرا

حتى لقد خِلْتُ آمَالِي قَوَائِلَ لي   قدك ابن زاكور هذا البحر فاقتصرا

من ذا يطاولني والمجد صافحني   والبدر أقبسني والعلم لي سفرا

قد كنت قِدما أحس للنوى ضرار   فاليوم حين اكتسبت المجد لا ضررا

ما أحسن البَيْنَ إذ كانت إساءته   تفضي إلى مثل مصباح الدجى عُمَرا

بقية السلف الماضي ونخبته   لكن محاسنه أزرت بمن غبرا

قاضي القضاة الذي لا شيء يَعْدِلُهُ ... في عدله ألذّ فشا في النّاس واشتهرا
بحر العلوم التي غاضت مناهلها ... منذ زمان وسيل الجهل فيها جرا
شمس الأصول التي تعشي أشِّعَتها ... عَيْنَ الجهول فلم يسطتع لها نظرا
كم من فوائد أولاني غدوتُ بها ... أطاول العالم الحبر الذي مهرا
هذا و«جمع الجوامع» الذي بهرت ... غُرُّ مَعَانيهِ من غاب وَمَنْ حضرا
أبدى لنا كل ما يحويه من نكت ... نفيسة تخجل الياقوت والدررا
وَاهًا لها من لئال قد ظفرت بها ... فالحمد لله حمدا طيبا عطرا
سَحَتْ على قبر تاج الدين غادية ... تخفف الأثقلين الترب والحجرا
ولا تخطّت مُحَلِّيه بتحليه ... باهى بها الثقلين الجن والبشرا
نعم المُحَلّي مولانا المحلي إذ ... نَظَم مِنْ دُرّه ما كان منتشرا
يا رحمة الله عُوجِي بضريحهما ... ولا تزالي تُنْشِي لهما خبرا
إن الإمام أبا حفص الرِّضَى عُمَرَا ... أضحى يطرّز ما حكى وما ابتكرا
بدر الجزائر صان الله بهجته ... عن أن يرى بخسوف البدر مستترا
وبحرها العذب لا زالت جداوله ... تروض العالَمِين البدو والحضرا

قال كاتبه، سترت معائبه، وكنت أيام قراءتي هذا الكتاب كثير الكَلَفِ باختتامه، شديد الشغف بإخراج نوره من أكمامه، خوف أن يعوق السفر، عن ذلك الوطر، وكان الشيخ -رضي الله عنه- كثيرا ما يتأخر عن المجلس، لغرض عرض، من حفظ صحة، أو دفع ما يتوقع من مرض، فَتَأَخَّر لأجْل ذلك أياما، لم أذق فيها من الوجد مناما، فكتبت إليه في ذلك بما نصه:

يا أيها المولى الإمام ... ومن حوى أعْلَى مقامْ
لقد غدونا في ظَلاَم ... مُذْ غِبْتَ يَا حَبْرَ الأنامْ
أُطْلُعْ عَلَيْنَا نَقْتَبِس ... سَنَاكَ يَا بَدْرَ التَّمامْ

سـيدي، وأجـل عُددي، أبقـاك الله مخصوصـا بالبركة من غير اشـتراك، ما ترجح التخصيـص عنـد التعـارض على الاشـتراك، زاد اشـتياقنا إليك على الطَّوْق، وشـبّ عمـرو صبرنا عـن الطـوق[1]، -فليت شـعري- متـى تـنكسر سَـوْرَةُ هذا الـصِّرِّ[2]، وتـنفصـم عروة هذا الضُّرِّ، الذي حجب عنا ضوء مُحَيَّاك، ومنعنا من لقياك، فتبسـط يمنى الزمان معروفَها، وتَطْوي يسراه صُروفَها، وعسـى الله أَن يعادل سـحاب صره بالصحو، ويقابل ما كَتَبَتْهُ يَدُ ضُرِّهِ بالمحو، فَيُسْـفِرُ مُحَيَّاكَ ولا كإسفار الصباح، متهللا بالبشر والانشراح، فنستعين بأشعة أنواره، على قطف أزهار الأصول وأنواره، وكاتبه أفقر الخلق، إلى المعبود بالحق، يقرئ عليك سـلاما مسـكيّ الشـميم، عنبريّ النسيم، تبتهج النفوس برياه، وتتعاطى به عقار السرور وحمياه.

فـكان -رضـى الله عنه- بعـُد إذا أراد التأخر لعذر واضح من الأعذار، من نزول جليد أو هطل مدرار،بعث إليَّ وَلَدَهُ، يُعْلِمُني أَنَّه لا يستطيع أن يحضر مشهده.

ولـما عزمت عـلى الترحال، ونويت أن أُعمـل فيه الوخد والإرقـال [3]، طلبت منه الإجـازة فيما أقبسـني من أنواره، وأودعني مـن أسراره، فكتب لي بعد الامتناع بخطه النضير، ما أزرى بالدّر النثير، وهو:

[نص إجازة المانجلاتي للمؤلف]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ورضي الله تعـالى عـن الصحابـة أجمعين، وعـن التابعين وتابـع التابعين إلى يـوم الدين،

---

1) كذا بالأصل.

2) الصِّرُّ: هو شدة البرد.

3) في الأصـل الوخـذ والصـواب الوخد، والإرقال ضرب من سـير الإبل وهو سـعة الخَطْو في المشي وهو كناية على عزمه في السفر بسرعة.

وعـن العلماء العاملـين، ونفعنا الله بالكل آمين. وبعد: فقد اجتمعت بالشـاب الأديب، الأريـب الحاذق اللبيب، السـيد محمد بن قاسـم بـن زاكور، مفتتح عام أربعة وتسـعين وألف[1094هـ/ 1682م]، وقرأ عليّ «جمع الجوامع» للإمام السـبكي من حفظه، مع جماعة من الطلبة، فمكثنا في قراءته من أوله إلى آخره نحو أربعة أشهر، فرأيت من حرصه واعتنائـه واشـتغاله بما يعنيه ما أعجبني، وفيه قابلية لما يلقـى إليه، مع ذهن ثاقب، وفهم صائب، ومشاركة في فنون من العلوم، وكانت قراءتنا «لجمع الجوامع» بإحضار شرّاحه كالمحـلي[1]، وكُنَّا نقرأ كثيرا منه باللفظ، وولي الدين العراقي[2]، والكوراني[3]، وحواشي، مع بعض شراح «مختصر» ابن الحاجب[4]، فَشُـغِفَ بذلك وأَعجبه، لحرصه على العلوم، فطلب مني أن أجيزه فامتنعت، لأني في نفسي لست من أهل هذا الشان، ولا من فرسان ذلك الميدان، فأَلَحّ عليّ المرة بعد المرة، لظنه الجميلِ أنّي من هذا القبيل، فَأَسـعفت طلبته حرصـا على جبر خاطره، خشـية مـن كسر قلبـه، لأنَّ كسر القلوب، في كـسر القلوب، وجبرها في جبرها، فأجزته أن يروي عنّي ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر، عند أهل النّظر، وكنت قرأت على مشايخَ جلّةٍ أعلام، ومن أجلِّهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات:

---

1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشـم المحلي، المصري، الشـافعي جلال الدين توفي سـنة 864هــ انظر ترجمته في ابـن الحِمْصي في حوادث الزمان ووفيات الشـيوخ والأقـران 85، ورضا كحالة معجم المؤلفين 8/ 312.

2) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو زرعة ولي الدين العراقي توفي سنة 826هـ ترجمه ابن حجر في إنباء الغمر 8/ 21.

3) هـو أحمـد بن إسـماعيل بن عثـمان بن أحمد بن رشـيد بـن إبراهيم شرف الديـن ثم دعي شـهاب الدين الشهرزوري الهمداني التبريزي الكوراني ثم القاهري واسم شرحه الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، توفي سنة 893هـ، انظر السخاوي الضوء اللامع 1/ 241.

4) هـو عثـمان بن عمـر بن أبي بكر بن يونـس الرويني ثم المصري ثم الدمشـقي ثم الإسـكندري يكنى أبا عمـر المعـروف بابن الحاجب جمال الدين الإمام العلامة الفقيه المالكي توفي سـنة 646هـ،انظر الديباج المذهب لابن فرحون 289.

[ذكر الشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري][1]

أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري[2] -قدس الله روحه في دار النعيم-، مع جماعة من الطَلَبَةِ الأخيار، والنجباء الأبرار، أخذت عنه فنّ الأصول، والبيان، والمنطق، ومصطلح الحديث، والفقه، والحديث، والسِّير، والتصوف.

ففي الأصول: قَرأنا «جمع الجوامع» مرارا، و«مختصر» ابن الحاجب[3] نصفه، وفي البيان: «تلخيص المفتاح» مرارا، وفى المنطق: «الجمل» للخونجي مرارا، و«مختصر» الشيخ السنوسي[4]، ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، وفي المصطلح: «ألفية» العراقي[5] مرارا، وجملة من كتب السِّير.

وفي الحديث: «صحيح البخاري»، و«مختصر خليل» في الفقه، و«نظم ابن عاصم» في الأحكام، كما قرأنا كتاب «الشفا» للقاضي عياض، مع «البردة» للإمام البوصيري[6] في مدح النبي ﷺ، و«السينية»[7]، و«عقائد الشيخ السنوسي» قراءة ضبط وتحقيق.

---

1) هو أحد شيوخ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري.

2) هو علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن أبي يحيى بن أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السجلماسي الجزائري توفي سنة 1057هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 173 والإفراني في صفوة من انتشر 243.

3) مختصر ابن الحاجب المسمى منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل ومختصره هو المعتمد في التدريس شرقا وغربا.

4) مختصر في المنطق تأليف محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي المالكي التلمساني توفي سنة 895هـ انظر: ابن مريم التلمساني، البستان 237.

5) ألفية العراقي منظومة في علم مصطلح الحديث تأليف عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم زين الدين الشهير بالعراقي توفي سنة 806هـ انظر ابن حجر، إنباء الغمر 5 / 170.

6) المسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية، من نظم محمد بن سعيد شرف الدين أبي عبد الله الدلاصي البوصيري توفي سنة 694هـ، انظر حاجي خليفة، كشف الظنون 2 / 1331.

7) هي قصيدة في مدح النبي ﷺ في 92 بيت من نظم حسن بن أبي القاسم بن باديس أبو علي المالكي توفي سنة 787هـ انظر ابن قنفد الوفيات 376.

[ذكر الشيخ سعيد بن إبراهيم قدّورة الجزائري][1]

وكنت أخذت قبل قدومه إلى بلدنا عن غيره من المشائخ، من أعظمهم وأولاهم:

شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم[2]، - نفع الله به، ونفعه بعلومه، وأسكنه بحبوحة الجنان -: الحديث؛ والفقه؛ والنحو؛ وشيئا من التصوف؛ كـ«الحكم» لابن عطاء الله؛ و«التنوير»[3]؛ وعن غيره: الحساب؛ والفرائض؛ وشيئًا من علم الوقت إلى غير ذلك، وأخذت عن غير من ذكر «الخزرجية»[4] بشرحها للشريف الغرناطي[5]، وأقرأتها للطلبة ما ينيف على أربعين ختمة، كما أخذت: «لامية ابن مالك» في التصريف، كل ذلك بجدّ واجتهاد، مع التفرّغ والاشتغال بالعلوم، واليوم تشتَّتَ البال، وتبدّلت الأحوال، - نسأل الله أن يختم لنا بالحسنى، ويلحقنا بأسلافنا وأشياخنا غير مبدِّلين ولا مغيّرين، إنه وليّ ذلك، وهو حسبي ونعم الوكيل -، وهم -رضي الله عنهم -؛ أَخَذُوا ذلك عن مشايخَ جلّةٍ مِن أعلام المغرب والمشرق، قِراءة وإجازة وإِعْلاَمًا.

وها أنا أكملت غرضه، وأذنت له أن يروي ذلك عني بشرطه عمن رويته عنه، ووالله مع هذا ما ظننت أني في هذه الطبقة، ولكن خلت الديار، فسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدٍ، وكان شيخنا أبو عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم يتأوه عند ذكر مشيخته، وينشد لابن الحاجب:

---

1) هو أحد شيوخ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري.

2) يقصد الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة.

3) المسمى التنوير في إسقاط التدبير تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعرف بابن عطاء الله السكندري المالكي توفي سنة 709هـ انظر ابن فرحون، الديباج المذهب 131 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 204.

4) هي قصيدة في علم العروض تسمى: الرامزة من نظم عبد الله بن محمد ضياء الدين أبي محمد الخزرجي المالكي الاندلسي توفي سنة 626هـ انظر المقري، نفح الطيب 2 / 406.

5) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسني أبو القاسم المعروف بالشريف الغرناطي السبتي توفي سنة 760هـ انظر ابن قنفد الوفيات 362 والنباهي المرقبة العليا 180.

لقد سئمت حياتي اليوم لولا مباحث صاحب الإسكندريه
كأحمد سبط أحمد[1] حين يأتي بكل مليحة كالعبقرية
تذكّرني مباحثه زمانا وإخوانا عهدتهم سويه
زمانا كان الأبياري[2] فينا يدرسنا وتغبطنا البريه
مضوا فكأنهم إمّا منام وإما صبيحة أضحت عشيه

وكذلك نحن مضى أشياخنا وإخواننا الذين كنا نتذاكر معهم، وتألّفنا بهم، وخُلّفنا وتحولت الأحوال، واشتغل البال، نسأل الله أن يلحقنا بهم غير مبدلين ولا مغيرين، بجاه سيد المرسلين.

وكتب عن عجل، والقلب في وجل، صبيحة الأربعاء المكمّل عشرين [20]من شهر جمادى الأخرى من عام أربعة وتسعين بعد الألف [1094هـ/ 1682م]، -عبد الله وأصغر عبيده- عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار والمنشإ، المانجلاتي نسبا[3]، -أصلحه الله-، وكان له ولذريته وليا ونصيرا، آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

تمّت الإجازة البديعة، وبتمامها تمّت ترجمة هذا المولى، الذي خصّه الله بعدم المساوي والأولى، أبقاه الله، ولا حرمني من لقياه.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

ومنهم الفاضل العَلاَّمة الذي جُعِل للمحاسن عَلاَمَةً، فاعترف بفضله كل موقن، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، أتم الله نوره، وأدام سروره،

---

1. هو نفسه الأبياري الآتي.
2. هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم الجذامي ناصر الدين أبو العباس الأبياري المالكي الإسكندري توفي سنة 683هـ انظر ابن مخلوف، شجرة النور 1/ 188.
3) منكلاتة ومنجلاتة والجيم في النطق المحلي تنطق قاف معقودة وهي قبيلة بربرية فرع من زواوة انظر ابن خلدون، العبر 6/ 263.

بمنّـه وفضلـه، غرّة مجدٍ في جبين الجزائر سـاطعة، ودرة فضل في جيـد المكارم لامعة، وبحر من السـماحة زاخـر، أعي الأوائل والأواخر، رحل إلى المـشرق مرارا، وانتجع للمعـارف قطارا، وحظي بصحبة شـيوخ جلّة، أنهله كل واحـد منهم وعله، ومازال يخطـب من عقائل المعاني كل خريـدة، وينظم من جواهر البيان كل فريدة، حتى أربى على أهل زمانه، وطاول أحبار أوانه، وتوغّله في الأدب، هو الذي أولاه عالي الرّتب، وأهدى إليه السـيادة من كل غور، وأرقاه على القعقاع ابن شـور [1]، إذا سجع كلاما، أو رصّع نظاما، سـحر ببيانه عيانا، وأسكر بسـلافة إبداعه أذهانا، وإن تكلّم في سائر العلوم، نفّس عن المكظوم، وأحيا قتيل الهموم.

قال كاتبه - سُـتِرت معايبه -: وكنت قبل أن ألقاه، وتكتحل جفوني بمرآه، لم أزل مكظوما محزونا، أكابد من غمرات الاغتراب فنونا، ولما شـمت[2] سـناه، وشـممت شـذاه، صِحْتُ واطرباه، ولم أنشـد بعد واحرّ قلباه، وهذا الفاضل ممّن بوأه الله المكانة العليا، وجمع له بين الدين والدنيا، فهو ينشد إذ كَلِفا به معا:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

ولم يزل مدّة إقامتي بمطافه، يرشفني أعذب نُطَّافه، ويجيش إِلَيَّ من المكارم بأبحر، ويوليني من المحاسـن ما يُعمِّر عُمْرَ سـبعة أنسر[3]، حتـى شردت في النّوى عن ذلك المثوى، وقد مدحته بقصيد، ذهب من الإبداع في كل بريد، ونظم من حلاه كل فريد، وقطع من عِدَاهُ كل وريد، ورفعته إليه يوم ختمنا نظم أبي إسحاق التلمساني[4] عليه،

1) القعقاع بن شور: تابعي يضرب به المثل في حسن المجاورة فقيل : لا يشقى بقعقاع جليس.

2) شما يشمو شموّا: علا أمره ومعناه هنا: علوت.

3) تضرب العرب المثل لطول العمر بالنسر فتقول أعمر من نسر ويقال: إنه يعيش خمس مائة سنة، انظر الزمخشري المستقصى في أمثال العرب 1 / 254 والثعالبي ثمار القلوب 385.

4) المشهورة بـ: التلمسانية في الفرائض تأليف إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق الأنصاري المالكي التلمساني توفي بعد سنة 690هـ انظر ابن مريم، البستان 55، وابن مخلوف شجرة النور 202.

وذلك يوم الثلاثاء آخر ربيع الثاني من عام أربعة وتسعين وألف[1094هـ/ 1682م]، وهو هذا:

[قصيدة للمؤلف في مدح محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

البحر قد أبدى سنى نضرته ... فهامت الأعين في بهجته

قد خلع الحُسنُ عليه حُلَى ... وانتظم الإبداع في لَبَّتِه

كأنّه والشمس قد نفضت ... شعاعها الأنضر في لُجّته

مطارف العقيان قد طرزت ... باللاّزورد الغض من زرقته

ذكرني عهدا لنا قد مضى ... بأرض تطوان على ضفته

في جنّة أربت على جلَّق ... علمها الحسن بألويته

ما شئت من نور كدُرٍّ على ... زبرجد يسبي سنى خضرته

ومن غصون قد سقاها الحيا ... فعربدت بالرّقص من خمرته

دبّجها النّوار من أصفر ... يحكي النضار الغضّ في كُهبته

وأحمر يشبه خد الذي ... أنحلني شوقي إلى رؤيته

حيث المنى تطلعه قمرا ... تنأى دجى الأحزان من طرته

لم يعره هجر يهيج الجوى ... ويعطف القلب على حرقته

إلا نفارا هو في طبعه ... إن نفار الظبي من خلقته

ينفر تيها ثم يثنيه ما ... يبصر من وجدي على نفرته

فقلت إذا أبصرته تائها ... كن راضيا حبّي علي وته

ولا تعذبني بنار الجفا ... يا من حياة الصبّ في قبضته

فافتر نظم الدر من ثغره ... وأين نشر المسك من نكهته

وأين بدر التم من وجهه   وأين لمع البرق من غرته

واهتز عجبا بخضوعي له   فأين غصن البان من هزته

أي هلال في قضيب نقي   أضاءه الديجور من لمته

عانقت من قامته غصنا   كما قطفت الورد من وجنته

لم أصح من سكري بتعنيقه   إلا بتقطيعي على فرقته

أي زمان قد مضى مسرعا   يا حرّ أنفاسي على سرعته

لم أنتبه من نوم لذته   إلا بأشواقي إلى أوبته

ياليت شعري والمنى ربما   تساعد المشتاق في بغيته

هل يدنون الغرب بعد النوى   فأقطف الآمال من ضيعته

وهل أرى تلك البدور التي   تزري ببذر الأفق في طلعته؟

أجل فجمعي بهم عاجلا   سهل على الرحمن في قدرته

ما أقدر الله على ردّ من   ندّ به البين إلى فئته

فيا نسيما من حماهم سرى   شممت عرف المسك من هبته

كيف الربى والمنحنى والنقى   والنهر والروض على ضفته

عهدي بها مرتع كل رشا   لا راعها الدهر بتنحيته

وكيف أحبابي وهل علموا   شوقي الذي أُوبِقت في أزمته

نكبني الدهر ببينهم   أشكو إلى الرحمن من نكبته

أمسيت صبا بالجزائر لا   أعدم شجوا ذبت من لفحته

لولا ابن عبد المؤمن المرتضى   قضى فؤادي من لظى لوعته

جعلته قصدي ونعم الذي   يقصده الإنسان في غربته

العالم النحرير من دأبه   أن ينقذ الملهوف من كربته

وأن يـــواسي مـــن بـــه شردت … عيس النوى أو حاد عن وجهته

أنـــخـــت آمـــالي بـــه فانثنت … عـــاطـــرة الأنـــفـــاس مـــن نفحته

إن تـــسأل الأحـــبـــاب عـــن نزلي … فـــهـــا أنـــا أنـــعـــم في جنته

أقـــطـــف أنـــوار المـــنـــى غضة … تحـــت ظـــلال العلم في حضرته

أثـــقـــلـــنـــي بـــالـــبرِّ حـــتـــى لقد … أعـــجـــز أن أنـــفـــك مـــن حـــوزتـــه

مـــا شـــانـــه عـــيـــب ســـوى أنـــه … يـــغـــضي عـــلى مـــثـــلي في هفوته

ويـــســـعـــف الـــطـــالـــب في قصده … ويـــســـعـــد الـــراغـــب في رغبته

نـــزهـــتـــه في الـــعـــلـــم يـــدرســـه … لا عـــاقـــه المـــقـــدار عـــن نزهته

أفـــادنـــا عـــلـــم الـــفـــرائـــض في … أدنـــى مـــدى ارقـــل في مشيته

مـــن درســـه النظم الـــذي صاغه … نـــجـــل الـــتـــلـــمـــساني في صنعته

نـــظـــم عـــقـــود الـــدر لم تحكه … أبـــدع مـــا ألـــف في صفته

أحـــصى أصـــول الـــفـــن محكمة … وحـــاكـــهـــا طـــرا عـــلى نـــزرتـــه

نـــاهـــيـــك مـــن نـــظـــم ومـــن ناظم … ومـــن مـــبـــين مـــقـــتـــضى حكمته

بـــين مـــا أشـــكـــل مـــن لفظه … وحـــل ما استصعب من عروته

مـــاذا يـــقـــول المـــرء في مدحه … وقـــد تناهى الـــدهـــر في خدمته

والـــشـــمـــس أولـــتـــه أشعتها … والـــبـــدر حـــلاه بتحليتـــــــــه

وخـــيـــم المـــجـــد بـــســـاحـــتـــه … وفـــاض بحر الجـــود في بردته

بـــدر الهـــدى والعلم يا من غدت … تـــســـجـــد أمـــداحـــي إلى قبلته

خذها عـــلى رغـــم الـــعـــدى غـــادة … لـــفّـــعـــهـــا الـــصـــدق بـــأقـــبـــيـــتـــه

خـــود زهـــت إذ بـــشرت بكم … ولـــفـــهـــا المـــجـــد بـــأرديـــتـــه

كـــم رامـــهـــا قـــبـــلـــك ذو همة … فلم تصخ سمعا إلى خِطبته

بنت ابن زاكور فمنشاه	فاس وأهل الفضل من أسرته
صداقها الغالي قبولكها	منه فما أغلاه في نيته
فاسمح له واقبل هديته	وعف بالصدق على زلته
لا زلت ذا حال تسوء العدى	ما حن ذو بعد إلى تربته
والله يبقيك إمام هدى	ما غرّد القمري على دوحته

ومن أعظم شاهد على سلامته من الدعوى، التي عمت بها البلوى، مع بلوغه في كل فنّ الدرجة القصوى، أني في بعض الأيام غلبني الضحك بحضرته، فظنّ لحسن نيته، وجميل طويته، أن ذلك من عدم معرفته، فكتبت إليه معتذرا من تلك الهفوة، مقسما أن ذلك افتتان بإقرائه وصبوه، لا غلظة وجفوة، بهذه الأبيات:

[المؤلف يعتذر ويمدح محمد بن عبد المؤمن الجزائري]

مهلا على القلب إن القلب قد لَسِبا	إذ قيل حبر الهدى علي قد عتبا
حبر الجزائر لا تنفك محتجبا	عن من يمد إلى تنكيدكم سببا
لا وحياتك يا ابن الأكرمين أبا	ما كان ما فات منا عن قلى عجبا
لكن طربنا بما أبديت من نكت	نفيسة أورثتني ضحكا طربا
وقد فهمنا فَهِمْنا بالذي شربت	أفكارنا من عقار حكت الضربا
ومن يكن بعقار العلم مصطحبا	أجدر به أن يرى من سكره طربا
هبنا زللنا أمَا للحلم أردية	سابغة ترتديها زلّة الغربا
إن كان هذا الذي أبديته كذبا	فلا قضى وطري من علمكم أربا
ولا ركبت جياد العلم مسرجة	ولا اقتديت بمن هام بها وصبا
ولا ظفرت بما أرجوه من وطر	ولا برحت أعاني الكد والوصبا
ولا حننت إلى فاس وجيرتها	ولا دعاني إلى تطوان عرف صبا

فافتتن -رضي الله عنه- بشعري، وتقبل عذري، وتجاوز عن وزري، وبعث إلي بدراهم، وأغرقني بحرا أُمِدَّ ببحار من المكارم:

إنّما البِشْرُ روضةٌ فإذا كـ ـان وبذلٌ فروضةٌ وغدير

وهمى عليّ بعد ذلك جوده الصيّب، بمجلد طيب، تضمّن شِعْرَي أبوي تمام والطيب.

ولهذا المولى أشعار، أرق من نسمات الأسحار، ورسائل آنق من نفحات الخمائل، لو قرأهما على الصخر لتفجّر ماء صُراحا، ولو ألقاهما على البحر لصار سلسالا قراحا[1]، شاهدت من ذلك ما تقرّ برؤيته العيون الباكية، ويحسده نسيب[2] عبد الرحمن بن حسان[3] في رملة بنت معاوية.

وقد أخبرني في هذه الأيام غير واحد، ممّن قدم من تلك البلاد، من أهل الانتجاع والارتياد، أنه تولى قضاءها، ورد عليها بعدله رونقها، الذي فقدته وبهاءها، أبقاه الله يظهر سناها، وينضر مرآها.

ولما فرغت من ذلك الطواف، وعزمت على الانصراف، سألته أن يجيز لي ما قرأته عليه، أو سمعته لديه، فنفث لي بهذا السحر، من غير إعمال روية ولا فكر، وهذا نص إجازته:

[نص إجازة أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري للمؤلف]

الحمد لله الذي أجاز على العمل الحسن الصحيح المقبول أحسن إجازة، ووعد بوجادة ذلك يوم مناولة الكتاب باليمين، وعدا لا يخلف سبحانه إنجازه، وأشهد أن

1) القراح: الماء الذي لا يخالطه شيء أي الخالص.

2) النسيب: نسب بالنساء ينسب وينسب نسبا ونسيبا ومنسبة : شبّب بهن في الشعر وتغزل وهو الشعر الرقيق في النساء.

3) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري انظر عمر فروخ تاريخ الأدب العربي 1 / 555.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدّ ولا ندّ له، شهادة يضحي بها العمل الموقوف مرفوعا، ويتّصل بها ما كان مقطوعا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، المرفوع قدره على جميع الخلائق، المعنعن خبر نعته بأكمل الخلائق، ﷺ وعلى آله صلاة وسلاما يرفع بهما كل معضل، ويهتدي بهما من جانب سبيل الصواب أو ضل.

وبعد، فإن العلم أشرف ما يتحلى به الإنسان، وأكمل وصف يتكمل به الأعيان، وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مقرر مشهور، ومعروف بين أهله مذكور، وإن ممن ضرب فيه بنصيب وافر، وحصّل منه القدر المفيد الظاهر، الفقيه النبيه، العالم الوجيه، اللوذعي الأوحد، جامع الفضائل التي لا تجحد، أبا عبد الله الشيخ محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي -حفظه الله وحرسه-، وبكل المبّرات والمسّرات آنسه، فإنه لما حلّ حضرة الجزائر، التي عمّ أمنها القاطن والزائر، قرأ معنا صدرا من كتاب «جمع الجوامع» للتاج السبكي، وبعضا من «تلخيص المفتاح»[1] من باب الفصل والوصل، و«أرجوزة ابن التلمساني» في الفرائض، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في المسائل العلمية، والنوادر الأدبية، فألفيته سابق الحلبة، ودرّاك المسائل الصعبة، فالتمس منّي أن أجيزه فيما قرأ معي، أو سمعه مني، فاعتذرت إليه من التقصير، والباع القصير، وعدم التأهل لأن أُجاز فضلا عن أجيز، ولست محسنا للإطناب ولا متمكنا من الكلام الوجيز، فلم يقبل مني ذلك، وصادف وقتا لم يمكني فيه إسعافه بإجادة ما هنالك، فأجزته بذلك على شرطه، المعتبر عند أهله، بإجازة الحافظ الشهير علامة مصر، وحافظ العصر، أبي الحسن الشيخ علي الشَّبرَامِّلِسي[2]، عن الشيخ إبراهيم

---

1) المسمى: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان وهو تلخيص لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم جلال الدين العجلي القزويني الشافعي توفي سنة 739هـ انظر ابن حجر، الدرر الكامنة4 / 3.

2) هو علي بن علي نور الدين أبو الضياء الشَّبْرَامِّلِسي الشافعي القاهري توفي سنة 1087هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 3 / 174.

اللَقَاني[1]، والشيخ عبد الرحمن اليمني[2]، بروايتهما معا عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري[3]، عن الشيخ نجم الدين الغيطي[4]، عن الشيخ زكرياء عن ابن حجر بسنده المعروف، وبسند عال عن الشيخ علي المذكور، عن شيخ الفقهاء والمحدثين أحمد بن خليل السبكي[5]، عن نجم الدين، عن الشيخ زكرياء، عن ابن حجر.

وكما أجازني أيضا العالم الماهر، العلم الظاهر، نزيل مدينة الرسول المطهر، ومدرس حَرَمِهِ المكرم المنور، أبو العباس الشيخ أحمد بن تاج الدين، عن شيخ الإسلام، بالبلد الحرام، جمال الدين الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي، عن شيخ وقته شمس الدين محمد بن أحمد الرملي[6]، عن الشيخ زكرياء، عن ابن حجر بسنده المتصل، وطرقه المعروفة إلى رسول الله ﷺ.

وكما أجزته أن يروي عني هذه المنظومة ويشرحها إن أمكنه أو من أهّله الله لذلك، وله الأجر التام، والفضل السابغ العام، وهذا أولها:

---

1) هو إبراهيم بن الحسن بن علي أبو إسحاق اللقاني المالكي المصري توفي سنة 1041هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 1 / 6.

2) هو عبد الرحمن بن شحاذة المعروف باليمني الشافعي توفي سنة 1050هـ انظر المحبي، خلاصة الأثر 2 / 358.

3) هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين بن عز الدين بن ناصر الدين بن عز العرب أبو النجا السنهوري المصري المالكي توفي سنة 1015هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 2 / 204.

4) هو محمد بن أحمد بن علي نجم الدين أبو المواهب السكندري الغيطي نجم الدين توفي سنة 983هـ أو 984هـ، انظر الكتاني، فهرس الفهارس 2 / 888، والزركلي الأعلام 6 / 234 وابن العماد شذرات الذهب 8 / 406.

5) هو أحمد بن خليل بن إبراهيم بن ناصر الدين الملقب شهاب الدين السبكي الشافعي المصري توفي سنة 1032هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 1 / 185.

6) هو محمد بن أحمد بن حمزة الملقب شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشافعي توفي سنة 1004هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 342 والقادري التقاط الدرر 25.

[أرجوزة لمحمد بن عبد المؤمن في العقائد والعبادات]

يقول راجي رحمة المهيمن — محمد نجل ابن عبد المؤمن

الحمد لله وصلى ربّي — على النبي وآله والصحب

وبعد فالقصد بهذا الرجز — جمع المهمّ بكلام موجز

من واجبٍ لله والرسول — ومن فروع لذوي التحصيل

الله مُوجود قديم باقي — مخالف للخلق بالإطلاق

وقائم بنفسه [و]واحد — ذاتا وفعلا صفةً يعتقد

ثم الوجود صفة نفيسة — والخمسة الأخرى غدت سلبيه

وصفة المعاني سبع قدرة — علم حياة وكذا الإرادة

سمع كلام بصر وسم — سبعا بمعنوية في النّظم

كونه قادرا مريدا عالما — حيا سميعا مبصرا مكلِّما

ثم الذي على الإله يستحيل — العدم الفنا الحدوث والمثيل

والافتقار والتعدد البَكَم — عجز وجهل موت العمى صمم

كراهة وكونه أصما — وعاجزا وجاهلا وأعمى

وكارها وميتا وأبكما — وجائز فعل وترك فاعلما

والعالَم الحادث قد دلّ على — وجود رب الخلق جل وعلا

لو انتفى القدم كان حادثا — مفتقرا لمحدِث كن باحثا

فيلزم الدور أو التسلسل — ونفي عالم كذاك يحصل

نفي البقا مستلزم نفي القدم — إن ثبت القدم ينتفي العدم

لو ماثل الخلق الحدوث يلزم — فينتفي البقاء ثم القدم

لو لم يقم بنفسه كان صفه — فاحتاج للمحل يا ذا المعرفه

ثم الصفات لم تقم بشان | من معنوية ولا المعاني
وبهما يتصف الرب الكريم | ليس إذن بصفة جلّ العليم
وينتفي العالم مع تعدد | لعجز ذاك حينئذ فاستفد
هذا إذا ما اتفقا وعندما | يختلفان ظاهر فلتعلما
وينتفي العالم إذ ما ينتفي | علم إرادة حياة فاعرف
وقدرة ونقصه جل لدى | فقد كلام بصر سمع بدا
لو انتفى جواز فعل الممكن | لانقلبت حقائق فاستبن
للرسْل أوجِبْ صدقا الأمانة | تبليغا أيضا وأحِلِ خيانة[1]
وكذبا كتمانا أما الأول | فالمعجزات حجة يا رجل
وغيره حجته لمن فطن | كون القبيح فيهما صار حسن
جاز عليهم ما يجوز للأنام | من عرض إن لم يخلّ بالمقام
حجته العيان للذي حضر | والنقل للآتين فافهم الخبر
والأنبيا أفضل من رسل الملك | ورسلهم من صالحي الإنس سلك
النسفي[2] وصالحوهم فضلوا | على الملائك إذا لم يرسلوا
ويجمع القول الذي سقناه | قولك لا إله إلا الله
معناه الاستغنا والافتقار | له على عباده اقتدار
هذا تمام القول في العقائد | وهاك في الفروع ذي الفرائد
شرط الوضوء عشرة وأربعة | لصحة أو لوجوب أو معه
أولها الإسلام ثم فقد ما | يمنع مثل حائل وصول ما
ثم انتفا وجود مانع وإن | أردت علم الثاني منها فاستبن

1) كذا بالأصل، وهي لا تستقيم وزنا، ولعل الشطر هكذا: تبليغا أيضا أحل الخيانة.

2) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي السمرقندي نجم الدين أبو حفص الحنفي توفي سنة 537هـ انظر الداودي طبقات المفسرين ص 306.

دخول وقت لصلاة وإدكار ... عدم إكراه وسهو واقتدار

والحدث الثابت والشك كذا ... وزد بلوغا ثم ثالثا خذا

بلوغ دعوة وعقل وانقطاع ... دم لحيض أو نفاس لا نزاع

وجود كافي الما، وفقد النوم ... والغُسل كالوضوء في ذا الحكم

والفرض نية ووجه ويد ... رأس ورجل ثم دلك يقصد

والفور أيضا ثم هاك سننه ... يدا فما أنفا ورأسا أذنه

ترتيب فرض ثم فرض الغسل ... تعميمك الجسد فافهم أصلي

دلك وتخليل وفور نيةٌ ... سننه غسل يدٍ مضمضةٌ

مسح الصماخين مع استنشاق ... فرض تيمم على اتساق

ضربة بدء نية وجه يد ... للكوع فور وصعيد يصعد

سننه تجديد ضرب فاقتد ... رتّب ومن كوع لمرفق اليد

شرط الوجوب للصلاة فاعلما ... عدم إكراه بلوغ علما

وشرط صحة طهارة الحدث ... مع خبث والستر فافهم ما أبث

ترك كثير الفعل واستقبال ... كذاك الإسلام به الكمال

وللوجوب فاعْلَمنْ والصّحّهْ ... دخول وقتٍ وبلوغ دعوهْ

قطع دم الحيض مع النّفاسِ ... عقل وغير نائم وناسي

وجود ماء أو صعيدٍ فاستفدْ ... بيانها ثم على ذا فاعتمد

وفرضها النية والإحرام ... فاتحة ولها القيام

ونية الصلاة ثم الاقتدا ... خفض ورفع وركوع قصدا

كذا السجود وقيام للركوع ... ثم السلام وجلوس للوقوع

ثم جلوس الشخص بين السجدات ... ثم اعتداله بكل الواجبات

سننها جهر بإحرام سلام ... تشهد وسورة مع القيام

سر وجهر والجلوس الأول   وما تقدم السلام يافل

وكل تسميع وتكبير ورد   على الإمام ثم إنصات ورد

وسترة وزائد اطمئنان   لترك السنة سجدتان

قبل السلام ولزيد بعده   ومعهما قبل فحقق قصده

وتجب الزكاة إن دين فقد   وتم ملك ثم حول وعدد

ثم الصيام واجب بنيه   وعلم شهر نلتم الأمنية

وترك شهوة الطعام والجماع   مع المقدمات فاترك النزاع

وواجب الحج طواف والوقوف   والسعي والإحرام للرب الرؤوف

وعمرة كذا سوى الوقوف   ليس من الفرض على المعروف

سننه الركوع والتلبية   غسل وإنقاء كذاك لبسة[1]

مشي طواف ثم تقبيل الحجر   وسوق هدي والدعاء المعتبر

ورمل إسراع سعي وصعود   على الصفا ثمت يدعو ويعود

ثم المبيت بمنى مزدلفة   والجمع فيه وكذا بعرفة

ثم الدعا بيومها والمشعر   ورمي جمرة حلاق يا سري

وترك طيب ونساء ومخيط   والصيد أيضا وكذا كل محيط

فهاك نظما موجزا مهما   حوى المراد عملا وعلما

ثم الصلاة والسلام التالي   على النبي وصحبه والآل

انتهت الأرجوزة البارعة، الواردة موارد الإبداع ومشارعه، وكفى بنظامها الغريب، دليلا على أن لصاحبها في الأدب والعلم اليد الطولى والباع الرحيب، وبعده بخط الشيخ -أبقاه الله-:

---

1. كذا بالأصل وفيه خلل.

الحمـد لله قـد أتمها كاتبها بحضرة كاتبـه محمد بن محمد بن عبـد المؤمن -وفقه الله بمنّـه- في ضحى يوم الجمعـة الثالث والعشرين [23] من جمـادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف [1094هـ/ 1682م]، انتهى.

[نص إجازة الشَّبْرَاملسي لمحمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

ونص إجازة شـيخه المولى الشيخ علي الشَّبْرَاملسي[1] المشار إليها في هذه الإجازة، حسبما كتبت ذلك من خطّ شيخنا العلم، الذي أربى على كل من كتب في هذا العصر بقلـم، العلامة الحافظ الدرَّاكة أبي عبد الله سـيدي محمد بن المولى أبي العباس سـيدي أحمـد عُرِفَ بالكمّاد القسـنطيني[2] -حفظـه الله- من غمرات الزمـان، وأدام النفع به لكل قاص ودان:

«حمـدا لمن أطلع في سـماء الفضائل شموسـا وأقمارا، ورفع لمن شـاء من عباده عن وجـوه عرائس المعاني أسـتارا، وصلاة وسـلاما على سـيدنا محمد الـذي أبدى وأبدع أسرارا، وبلغ بحكمته أوطارا، وعلى آله وأصحابه الذين كساهم الله بالمعارف وقارا، وبعـد: فإن العلم أشرف شيء يتحلى به الإنسـان، وأعظم وصف يتكمّل به الأعيان، وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مقرر مشهور، ومعروف بين أهله ومأثور، فمن ذلـك قول الله في محكم الآيـات: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (**المجادلة:11**)، وقوله في كتابه المكنون: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (**الزمـر: من الآية9**)، وقول النبي عليه السـلام: «إن الملائكـة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع»[3]، ثم إن العلوم وإن تفاوتت أقدارها، وعظُمت لدى النفوس

---

1) في الأصل المطبوع الشرمسلي الصواب الشبراملسي.

2) هو محمد بن أحمد أبو عبد الله الكمّاد القسنطيني المالكي توفي سنة 1116هـ انظر القادري التقاط الدرر 293 والحفناوي تعريف الخلف 2 / 353.

3) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده من حديث صفوان بن عسال رقم: 17398.

أخطارهـا، فعلم الحديث من بينها هو الحقيق بأن يُشَمَّرَ له سـاق الجدِّ والعناية، لأنه يحتاج إلى إتقان الرواية قبل الدراية، وقد بذل السلف الصالح في ذلك هممهم العلية، وأفكارهـم الألمعية، حتى تميـزت الأحاديث الصحيحة من الضعيفـة، وبلغوا بذلك المراتـب الرفيعـة الشريفة، ثم تقاصرت الهمم، فلم يبق إلا ما اختصّ الله به هذه الأمة من بين سـائر الأمم، من بقاء الإسـناد، حفظا للشريعة الغراء إلى يوم التناد، والإسناد أصل عظيم، وخطر جسيم، وقد قال فيه بعض العلماء: «إنه كالسيف للمقاتل»، وقال بعضهم أيضا مشـيرا إليه: «إنه كالسـلَّم يصعد عليه»، وشيوخ الإفادة آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين.

وفي أول صحيح الإمام مسـلم عن عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». وقال إمامنا الشافعي: «الذي يطلب الحديث بلا سبب كحاطـب ليـل يحمل الحطب وفيـه أفعى، وهو لا يـدري»، وقال الإمـام الطوسي[1]: «قُـرْبُ الأسـانيد قـربٌ إلى الله تعـالى»، هذا وإن ممـن ضرب في العلـم بنصيب وافر، وحصّـل منـه على القـدر المفيد الظاهـر، الشـيخ الفاضل الرُّحْلـة[2] العلامـة الفهامة الكامـل، طـراز العصابة الهاشـمية، فرع الشـجرة الزكية، صاحب النفس القدسـية، السـيد محمـد بن السـيد محمد بن السـيد عبد المؤمـن الجزائري -وفقـه الله وأصلحه، وأحسـن سـعيه وأنجحه-، فقد حـضر إِليَّ، وقرأ عليَّ، ما تيـسرت قراءته من صحيح الإمام البخاري قراءة أجاد فيها واسـتجاد، وأفاد واسـتفاد، ثم التمس منّي أن أجيزه برواية ما رواه عني، وبما قرأه وسـمعه مني، فاسـتخرت الذي ما خاب من استخاره، وأجزتـه برواية ذلك، وبرواية جميع ما تحـل لي روايته من «صحيح الإمام البخاري»،

---

1)هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي مولاهم الخرساني الطوسي توفي سنة 242هـ، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء 12 / 195.

2) الرُّحْلَةُ: الذي يرحل إليه، ويقصده الطلاب من مختلف الآفاق بغية الرواية عنه والاستفادة منه.

ومن «صحيح الإمام مسلم»، ومن «الشفا»[1] للقاضي عياض، ومن «الجامع الصغير» للجلال السيوطي[2] ومن غيرها من الكتب الحديثية، «كالمواهب اللدنية »[3]، ومن التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، بشرطه المفيد عند أهل الحديث والأثر، نفعه الله بالعلم والعمل والتقوى، فإنه بخيري الدارين العروة الوثقى، والسبب الأقوى، ثـمّ إني أعرف أنني أخذت العلوم الشرعية العلمية والعملية، وآلتها العقلية والنقلية، أخذ دراية، وبحث وتحقيق وإتقان رواية، مع جدّ وتثبت وإحكام وإتقان، حسب الطاقة والإمكان، عن أئمة أعلام، وجهابذة كرام، يُضَوِّعُ نشرهم، ويطول ذكرهم، وأسانيدهم في غاية الظهور والاشتهار، كالشمس رابعة النهار، أذكر ما تيسر ويقرب تناوله روما للاختصار، اقتباسا من أنوارهم، واقتفاء لآثارهم، -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فأقول وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق.

أما «صحيح الإمام البخاري» فأني أرويه سماعا للكثير منه وإجازة لسائره عن جمع كثير، من أجلهم: العلم الفرد الشهير، شيخ المحدثين في زمانه، فريد عصره وأوانه، الشيخ إبراهيم اللقاني، وشيخ الإقراء، طيب النشر، حرز الأماني، الشيخ عبد الرحمن اليماني، بروايتهما معا عن أبي النجاة سالم السنهوري بقراءته لجميعه على العلامة الفقية رحلة المحدثين، محمد نجم الدين الغيطي، بروايته له عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري بسنده المعروف.

---

1) المسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى تأليف عياض ابن موسى بن عياض أبو الفضل اليَحْصُبي، الأندلسي الأصل، ثم المغربي السَّبتي المالكي توفي سنة 544هـ انظر النباهي المرقبة العليا 115 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 140.

2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان الخضيري جلال الدين أبو الفضل السيوطي، توفي سنة 911هـ انظر العيدروس، النور السافر 90.

3) المسمى المواهب اللدنية بالمنح المحمدية تأليف أحمد بن محمد شهاب الدين أبو العباس القسطلاني المصري الشافعي المصري توفي سنة 923هـ انظر الغزي الكواكب السائرة 1 / 126 والكتاني فهرس الفهارس 2 / 967.

وأرويـه أيضا عاليا كذلك عن شـيخ الفقهـاء والمحدثين الشـهاب أحمد بن خليل السـبكي، عـن النجم الغيطي، عن شـيخ الإسـلام زكريـا الأنصـاري[1] عن الحافظ ابـن حجـر[2]، عن الحافـظ الكبير أبي الفضل عبـد الرحيم العراقي، عـن الجمال عبد الرحيم عرف بابن شـاهد الجيش[3]، عن أبي العباس أحمد بن علي الدمشـقي[4]، عن أبي القاسم هبة الله بن علي البوصيري[5]، عن أبي عبد الله محمد بن بركات، ويقال ابن هلال السـعدي[6] النحوي اللغوي، عن أم الكرام كريمـة بنت أحمد المروزية[7]، عن أبي الهيثم الكُشْمِيهَني[8]،

عـن أبي عبـد الله محمد بن يوسـف الفَرَبري [9]، عن مؤلفه الإمـام الحجة محمد بن إسماعيل البخاري.

---

1) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي زين الدين أبو يحي الشافعي توفي سنة 926هـ، انظر ابن العماد، شذرات الذهب 8 / 134.

2) هـو أحمـد بـن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الأسـتاذ إمام الأئمة الشـهاب أبـو الفضل الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ويعرف بابن حجر توفي سنة 852هـ، انظر السخاوي الضوء اللامع 2 / ص 104.

3) في الأصل شاهر، والصواب شاهد وهو عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف الأنصاري جمال الدين أبو علي المصري المعروف بابن شاهد الجيش توفي سنة 746هـ انظر أبو الطيب الفاسي ذيل التقييد ج2 / 109.

4) هو أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي، أبو العباس توفي سنة 670هـ انظر الذهبي، المعين 210.

5) هـو هبة الله بن علي بن سـعود بن ثابت بن هاشـم بـن غالب الأنصاري الخزرجي، المنسـتيري الأصل البوصيري توفي سنة 598هـ انظر الذهبي،سير أعلام النبلاء 21 / 390.

6) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي أبو عبد الله المصري الأديب توفي سنة 520هـ انظر الذهبي السير 19 / 455.

7) هي كريمة بنت أحمد ابن محمد بن حاتم المروزية أم الكرام توفيت سنة 463هـ، انظر الذهبي سير أعلام النبلاء 18 / 233.

٤) هو محمد بن المكي بن محمد بن زراع بن هارون أبو الهيثم الكشميهني توفي سنة 389هـ انظر السمعاني الأنساب 5 / 76، والذهبي سير أعلام النبلاء 16 / 491.

٩) هو محمد بن يوسـف بن مطر بن صالح بن بشر أبو عبد الله الفربري توفي سـنة 320هـ انظر السمعاني الأنساب 4 / 359.

وأما «صحيح الإمام مسلم»، فإنني أرويه كذلك عاليا عن جماعة من أجلهم العلامة المتقن المتفنن المسند المعمر شيخ المالكية، أبو الحسن علي الأجهوري[1]، عن العلامة بدر الدين القرافي[2]، عن الجلال السيوطي، عن شيخ الإسلام علم الدين صالح[3] بن شيخ الإسلام السراج البُلْقيني[4]، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي، عن أبي الحسن علي بن الحسين المغيري، عن الحافظ أبي الفضل السلامي[5]، عن الحافظ أبي القاسم بن منده[6]، عن الحافظ أبي بكر الجوزقي[7]، عن أبي الحسن مكي النيسابوري، عن مؤلفه الإمام الحجة مسلم بن الحجاج -رحمه الله-، قال الجلال السيوطي: قال الحافظ بن حجر: هذا السند في غاية العلو، وهو جمعيه بالإجازات.

وأما روايتي «للشفا» للقاضي عياض، فإنني أرويه سماعا للكثير منه، وإجازة لسائره، عن شيخنا شيخ الإسلام، خاتمة الأئمة الأعلام، الشيخ إبراهيم اللقاني، عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري، بسنده المعروف إلى مؤلفه.

1) هو علي بن زين الدين محمد بن أبي محمد زين الدين عبد الرحمن بن علي الأجهوري المالكي المصري توفي سنة 1066هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 157. وابن مخلوف شجرة النور 1 / 303.

2) هو محمد بن يحي بن عمر بن يونس الملقب بدر الدين القرافي المالكي المصري توفي سنة 1008هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 4 / 258.

3) هو صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح القاضي علم الدين الكناني الشافعي العسقلاني البلقيني توفي سنة 868هـ، انظر ابن الحمصي حوادث الزمان 101.

4) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح السراج البلقيني شيخ الإسلام ابن شهاب الدين ابن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني البلقيني نزيل القاهرة توفي سنة 805هـ، انظر ابن حجر إنباء الغمر ج5 / ص 107.

5) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ أبو الفضل السلامي توفي سنة 550هـ انظر السيوطي، طبقات الحفاظ 1 / 467.

6) هو عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني أبو القاسم توفي سنة 470هـ، انظر ابن كثير البداية والنهاية 12 / 127.

7) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا ابن الحسن الجوزقي، النيسابوري، الشيباني أبو بكر توفي سنة 388هـ، انظر الذهبي تذكرة الحفاظ 3 / 1013.

وأما روايتي «للجامع الصغير» للسيوطي، فإنني أرويه عن جماعة، منهم شيخنا الفهامة الشيخ علي الحلبي[1] عن شيخ الشافعية على الإطلاق، ولي الله بالاتفاق، الشيخ نور الدين علي الزيادي[2]، والبرهان العلقمي[3]. أما الزيادي فعن الشيخ السند الشريف يوسف الأرميوني[4]، عن مؤلفه، وأما العلقمي فعن أخيه

شمس العلماء الأعلام، محمد[5] مؤلف الحاشية[6]، عن مؤلفه، وبحق رواية شيخنا الأجهوري إجازة عن النور علي القرافي[7]، عن مؤلفة الجلال السيوطي، إجازة.

وأما روايتي لبقية مروياتي من الكتب الحديثية، فإنني أرويها بالطرق المتقدمة في سند البخاري، ونعيدها أيضا إلى شيخ الإسلام زكرياء، ثم منه إلى مصنفي تلك الكتب.

وأما روايتي لبقية مروياتي من التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، فإنني أرويها عن أئمة أجلاء، محققين مدققين، منهم بعض من تقدم ذكره، ومنهم شيخ الإسلام، علامة الأنام، الشيخ محي الدين، عن جده جمال الدين يوسف، عن والده شيخ الإسلام، عن أئمة أجلاء محققين، ومنهم الشيخ فخر الدين الشنواني، ومنهم الشيخ

---

1) هو علي بن إبراهيم بن أحمد ابن علي بن عمر الحلبي الشافعي المصري توفي سنة 1044هـ، انظر الكتاني فهرس الفهارس 1 / 344.

2) هو علي بن يحي الملقب نور الدين الزيادي الشافعي المصري توفي سنة 1024هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 195.

3) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر برهان الدين العلقمي الشافعي توفي بعد سنة 994هـ انظر ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب 8 / 433 والخفاجي في ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا 2 / 37.

4) يوسف بن عبد الله بن حسن الأرميوني توفي سنة 940هـ، انظر إسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين 6 / 564.

5) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، شمس الدين الشافعي، وفاته سنة 963 تقريبا، انظر ابن العماد شذرات الذهب 8 / 338.

6) اسم شرحه: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير.

7) هو علي بن أحمد بن علي بن عبد المهيمن بن حسن الشافعي القاهري توفي قبل 980هـ انظر الغزي الكواكب السائرة 1 / 445.

علم الدين سليمان البابلي[1]، ومنهم الشيخ سالم الشبشيري[2]، ومنهم خاتمة المحققين الشيخ أحمد الغنيمي[3]، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخياري[4] نزيل المدينة المنورة، ومنهم غير هؤلاء أيضا ممن يتصل بسند شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري -رحمه الله-، وبالشيخ نجم الدين الغيطي، وبالشيخ جلال الدين السيوطي، ثم منهم إلى مؤلفي تلك الكتب، وسندهم بذلك معروف مشهور، ضاعف الله لنا ولهم الأجور بمنه وكرمه آمين.

وأجزته أيضا أن يفيد ذلك لمن شاء، متى شاء، في أي وقت شاء، إجازة عامة بشرطه المعتبر -نفعه الله تعالى ونفع به-، هذا والمرجو من فضل الله وكرمه أن يجعلنا من المخلصين، وأن يحشرنا في زمرتهم أجمعين، مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين، والحمد لله رب العالمين.

قاله الفقير علي الشَّبْرَامِلسي الشافعي خادم السنة المطهرة بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله العلي الأكبر، في أوائل ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وثمانين وألف [1083هـ / 1672م]، من هجرة من له العز والشرف، وكتبه عنه بإذنه الفقير أحمد السنهوري[5] الشافعي، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

انتهت الإجازة المباركة، وبانتهائها تنتهي ترجمة مولانا الشريف، المحقق الظريف، شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن أبقاه الله في حلل السيادة رافلا، وجمعني به عاجلا، إنه على ذلك قدير، وبإجابة من يدعوه جدير، اللهم يا من نضّر

---

1) سليمان البابلي الشافعي المصري توفي سنة 1026هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 212.

2) هو سالم بن حسن الشبشيري الشافعي توفي سنة 1018هـ،انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 202.

3) هو أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين بن شمس الدين بن نور الدين المعروف بالغنيمي الأنصاري الخزرجي الحنفي المصري توفي سنة 1044هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 1 / 312.

4) هو عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري الشافعي توفي سنة 1056هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 367.

5) هو أحمد بن محمد السنهوري توفي سنة 1016هـ انظر المدني اليواقيت الثمينة 23.

مرآه، وألبسه من نور جده ﷺ وسناه، مَتِّعْنِي بصحبته، ولا تحرمني من شعاع غرته، بجاه جده المختار، سيدنا ومولانا محمد سيد الأبرار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت أقمار، وهمعت أمطار.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري عرف بقدورة]

ومنهم الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد[1] بن الإمام الأكبر ذي الفضائل المشهورة أبي عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم عرف بقدورة[2]، أتم الله نوره، شيخ الفقه والحديث، ووارث الشرف القديم والحديث، تفرع من شجرة علم، وتدرّع برود وقار وحلم، فمحّله من الجزائر، محل السواد من الناظر، انتهت إليه خطابتها وفتياها، وحصلت في يديه آخرتها ودنياها. فإليه يهرع عند اشتباه النوازل، ويفزع عند اشتداد الزلازل، وعليه يعتمد في رواية الآثار، وتصحيح أسانيد الأخبار، إلى فصاحة ولسن، جرى بهما في ميدان الإبداع طلق الرسن، وحلاوة وطلاوة، ألان بهما قلب كل ذي قساوة، وعبارة عليها رونق ونضارة، ولسان خلوب، يقود عصابات القلوب، هذا مع أنه لم يرتضع أخلاف الأدب، ولم يصطبح بسلافه المزري بالضرب، أما لو التبس بمور ذلك المور، واقتبس من نور ذلك الغور، فلا يمتري في أنه يطاول أهل المشرق والمغرب، ويصير نظيره كعنقاء مُغْرب[3]، وإمامة والده أبي عثمان[4]، هي التي أرقته على غيره من الأعيان، وأولته المراتب الخطيرة، والفضائل الشهيرة.

---

1) هو محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة، أبو عبد الله توفي سنة 1107هـ انظر ابن المفتي التقييدات ص 101.

2) هو سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة الجزائري الدار، أبو عثمان توفي سنة 1066هـ انظر الحفناوي تعريف الخلف ج1 / 66 والإفراني صفوة من انتشر 220.

3) عنقاء مغرب: يقال: أعز من عنقاء مغرب، قال الجاحظ: الأمم كلّها تضرب المثل بالعنقاء في الشّيء الذي يسمع به، ولا يرى، كما قال أبو نواس:

وما خُبزُه إلاّ كعنقاء مغرب … يصوَّر في بُسْط الملوك وفي المُثُلِ

وهنا يقصد بأن شيخه عزيز الوجود كعنقاء مغرب، انظر الثعالبي، ثمار القلوب 324.

4) هو سعيد بن إبراهيم أبو عثمان المعروف بقدورة الجزائري المالكي توفي سنة 1066هـ، انظر الإفراني صفوة من انتشر 220 والقادري التقاط الدرر 139 والحفناوي تعريف الخلف 1 / 66.

سعى معشر كي يلحقوه فبرزت   به غرر مشهورة وعلائم

سمعت من إملائه في مجلسه الخطير، جملة وافية من «الجامع الصغير»، وأبوابا من «صحيح البخاري»، يحمد مواردها المدلج والساري، سماع دراية، وتحقيق رواية، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر، وتنزهت من فهمه وحفظه في جنة ونهر، ولما أزف رحيلي، طلبت منه أن يجيزني بما ينفع غليلي، فأبعد أن يكون من أهل هذا الطريق، واعتذر بعذر ذهب من اللطافة في كل طريق، فلم أزل ألح عليه في الطلب، ويمد إلي من الموعد بسبب، حتى كنت من الظعن على قرب، فكتبت إليه:

[قصيدة للمؤلف في استعطافه ومدحه]

قد آن أن ينجز الوعد الذي وعدا   من لا نرى حازما قد حازه أحدا
ومن حوى العلم والمجد الصراح معا   ومن روى عن أبيه البرّ والرشدا
سمي خير الورى مفتي الجزائر مَنْ   مِنْ بحره اغترفت أحبارها مددا
مولاي أسرفت في إنظار منتظر   إجازة وهي أسنى ما به اعتضدا
لا تمطلنه ففي مطل الغني أتت   آثار صدق بأن الظلم فيه بدا
وأنت أعلم أهل العصر قاطبة   بها ومن لم يقل هذا فقد جحدا
أجز وأنجز فلا عريت من شرف   إجازة لم تغادر لكم سندا
إذا ظفرت بها أنشد من طرب   بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا
يا أيها البحر إلاّ أن لجته   ترمي الفوائد والأحكام لا الزبدا
أبقاك ربي ذا حال يغصّ بها   من راح يضمر بغضا لكم وغدا
ولا يزال سلام كالعبير شذا   يأتيك ما هاج طيرا شجوه فشدا

وذيلتها بكلام لا أستحضره في هذا المقام، فأجازني -رضي الله عنه- إجازة مطلقة، استوفى إيجازها في ميدان البلاغة طلقه، وهذا نصها:

[إجازة أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة للمؤلف]

الحمد الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، قد أجبت الفقيه النبيل الأصيل، المقتني ذخائر نفيس العلوم، ونفيس ذخائر الفهوم، بالغدو والأصيل، المحصّل لخصال الكمالات كل التحصيل، حائز قصبات السبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل، العلامة النحرير السيد [أبا][1] عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور، كان الله لنا وله دنيا وأخرى، وأجزته إجازة مطلقة تامة عامة على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا، توحيدا ونحوا، فليحدث بذلك إن أحب عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين، نفعني الله وإياه بهم آمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين، وكتب العبد الفقير إلى الله شاكره دائما على ما أسداه وأَوْلاهُ: محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألف [1094هـ/ 1682] انتهت.

قال كاتبه، سالمته أفاعي الزمان وعقاربه، هذا آخر من أجازني بمدينة الجزائر، من ولاة الأحكام ورقاة المنابر.

[ذكر أبي عبد الله ابن خليفة]

وممن لقيته بها، ووجهت خطابي إليه، إلا أنه اخترمته المنية إثر سقوطي عليه، وقبل أن يجيزني فيما لديه، الشيخ المسن البركة، الحائز قصب السبق في فنون مشتركة، شيخ

1) ساقطة من الأصل.

المشايخ، الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ، أبو عبد الله بن خليفة، لا زال رضوان الله حليفه، هو وإن شَرُسَت أخلاقه، ولم يَحْلُ مذاقه، وضاقت أكنافه، ولم ترد بحار الكمال أوصافه، فاضل علاّمة، رحالة مجذامة، صحب في تحصيل العلم الصالح والطالح، وركب في تطْلبه العذب والمالح، وما برح يكابد لأجله حرة تحتها قرة، ويسيغ من أشربة الاغتراب المُزَّة[1] والمُرَّة، حتى ظفر بما يذكر به، ما اختلفت الدرة والجرة، فتوشح ببيضه الرقاق، أثناء مصاحبته الرفاق، وخبز من دقيقه الجَردق[2] والرقاق، أيام جولانه في الآفاق، دخل مصر وهو غلان، لسلسبيل البيان، فكرع في غديره، حتى تضلع من نميره، وأحرم بمطافه، حتى تروّى من نُطَّافه، فآب إلى الجزائر بعد أن ألحم من أسراره وأشحم، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم، وجيده بعقوده محلّى، وقد فاز من قداحه بالرقيب والمعلّى، فتصيّع[3] بين جداولها بحرا، وطلع في سماء معارفها بين دراريها بدرا، وتصدّى للتدريس والتصنيف، وتردى بحُلّتَي التقديس والتشريف، وتميز بين أولئك الأعيان، بحمل راية البراعة والتبيان، وصال على الجميع، بألوية محسنات البديع، ومع هذا فنسبته من شيخنا أبي حفص أبقاه الله -وإن كان أكبر منه سنا- نسبة الحفر من البحر، والطل من الوَبْل[4].

قال كاتبه -حسنت سيره ومذاهبه-: اجتمعت به مرارا، والتقطت من فوائده دررا كبارا، وأعلمني بشرحه على «السلم المرونق»[5]، وندبني إلى كتبه وشوّق، وأخبرني -رضي الله عنه- لما رآه من نشيتي وحرصي، أنه لقي بمصر الشيخ المحقق العلامة

---

1) المُزَّةُ: هو طعم بين الحلاوة والحموضة.

2) الجردق بالفتح الرغيف.

3) تصيّع: هاج واضرب.

4) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر.

5) المسمى السلم المرونق في علم المنطق تأليف عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري المالكي توفي سنة 953هـ، انظر الحفناوي تعريف الخلف 1 / 67 وابن مخلوف شجرة النور الزكية 1 / 285.

يس الحمصي[1]، وأخذ عنه أخذ ذوي العرفان، فنّ المعاني والبديع والبيان، وقرأ عليه «مختصر سعد الدين على التخليص»، قراءة تحقيق وتدقيق، وبحث وتمحيص، ففاز من ذلك بأوفر نصيب، وحصل منه على روض خصيب، ولما شنف[2] سمعي بما شنّف، اشرأبّ عزمي إلى قراءة ذلك الكتاب عليه وتشوّف، وسلوت بذلك عن مغازلة كل مهفهف أهيف، فخاطبته راغبا في ذلك بما نصه:

[أبيات للمؤلف في مدح الشيخ ابن خليفة]

ما للبيان خليفة	إلا الرضى ابن خليفة
بين لنا مقتضاه	يا ربه وحليفه
بقيت فذا مفيدا	غر المعاني الشريفة
يا بحر علم طمى في	برود حلم كثيفة

وذيلتها بما نصه: سيدي أبقاكم الله سالمين، ولعرى المعاني الرقيقة فاصمين، يرغب كاتبه أفقر العبيد، إلى ذي العرش المجيد، من هو في قبائح أوزراه مأسور، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي عرف بابن زاكور، أن تتحفوه بقربكم في بعض الأوقات بمجمع، يكون فيه بمرأى منكم ومسمع، يقرأ عليكم فيه «مختصر سعد الدين التفتزاني[3]، على تلخيص مفتاح البيان والبديع والمعاني»، وغرضه الأخذ عنكم، والتماس البركة منكم، فأنتم بدور كمال هذه الآفاق، أمّنها الله من الأفول والمحاق، والله سبحانه يحسّن المقاصد والنيات، ويسهل النتائج على من شرع في المقدمات،

1) هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ عليم الحمصي الشافعي توفي سنة 1061هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 4 / 491.

2) أي أطرب سمعي.

3) هو مسعود بن عمر التفتازاني الحنفي توفي سنة 791هـ انظر ابن حجر الدرر 4 / 350.

بجاه نبيه الكريم ورسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أهل الدين القويم، ورضي الله تعالى عمن نهج صراطهم المستقيم، إلى يوم لا يغني فيه حميم عن حميم، ولا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا زال سلامنا العاطر، المفاوح لشذا الروض الماطر، تترى عليكم نفحاته، ورحمة الله وبركاته، انتهى.

فوعدني -رضي الله عنه- بالإسعاد في رغبتي، والإسعاف في طلبتي، حين يختم تفسير القرآن المجيد، وكان من ذلك الغرض غير بعيد.

فلما أورده أمله منهله، حضره أجله وما أمهله، فاقتطفته المنية، إثر بلوغ تلك الأمنية، وتاقت نفسه إلى التنعم في رياض الجنة باجتناء وقطف، يوم الأربعاء في عقب ربيع الثاني من شهور أربعة وتسعين وألف [1094هـ/ 1682م] فاغبرّت لفقده تلك البلاد، ورميت على أثر ثكله بداهية نئاد، وزحف إليها الهول بالضحّ والريح، وغادر أهلها بين قتيل وجريح، ما كان إلا ريثما أنزلوه عن تلك الذرى، وأودعوه بطن الثرى، حتى الْتَخَّ [1] أمرها، وغص بسفائن النصارى[2] بحرها، فزلزلوا قصورهم النواضر[3]، بصواعق أمثال القناطر، ورجموا مصانعهم العادية، بشهب هندوانية

1) الْتَخَّ عليهم الأَمرُ أَي اخْتَلَطَ.

2) تسمى: حملة الأميرال دوكين (Duquesne) على الجزائر، ولد الأميرال دوكين سنة 1640م وتوفي يوم 01 فيفري 1688م، انظر: Léon Guérin, Histoire maritime de France Tome, 3 p 475.

3) كان بداية الهجوم الفرنسي في أواسط صفر -فيفري من سنة 1094هـ/ 1682م فبعثت أولا بطليعتها إلى الجزائر وهي ثلاث سفن متاظهرة بطلب الصلح، فأعرض عنها الداي ولم يعرها أي التفات لعلمه بما تبطنه، ثم التحقت بالطليعة الفرنسية ما يقارب من مائة مركب مختلفة الشكل والحجم، هاجمت العاصمة في فاتح رجب -فيفري فأصابتها بستين قنبلة، وفي اليوم الثاني تلقت المدينة منها ضعف ذلك، وتصدت القوات البحرية الجزائرية إلى صد هجمات العدو ومقابلتها بالمثل وكانت الخسائر من الطرفين فادحة، وكانت هذه الحملة بقيادة الأميرال الفرنسي، دوكين (duquesne). انظر الجيلالي تاريخ الجزائر العام 3 / 192، وجون وولف الجزائر وأوروبا 343 ومزيدا من التفصيل انظر مقدمة دراستنا للكتاب، وملاحق رحلة ابن زاكور.

عاديـة، ومـا أدراك ماهيـه، نـار حاميـه، لها صعقـة الرعـد القاصف، وسرعـة البرق الخاطف، وهجوم السيل، وشمول ظلام الليل، إلى نار ترمى بشرر كالقصر، ورائحة تـصرع من على مسـافة القصر، اللهم قنا شرّها، وجنبنا يـا مولانا مكرها، اللهم ارفع عن تلك المنازل[1]، هذه الزلازل، وغلِّبهم على ذلك العدو النازل، اللهم اكشـف عن بدور تلك القصور، سـحائب الغرور، وحُلْ بينهم وبين مواقع الفتن بسور، يغص به كل كفور، فبيدك مقاليد الأمور، وعندك بحار الخيرات التي لا تغور.

وكفى بما ذكرناه دليلا على ديانته وفضله وولايته، وحدثني في حياته بعض الإخوان، الملازمـين له في غالب الأزمان، أنه فجع بموت ولده، وخيف من ذلك تصديع كبده، فلم يجزع لمماته، ولم يضجر لفواته، واستعان على رزيته بالصبر، ابتغاء الثواب وحصول الأجر، ما كان إلا قدر ما أدرجه في كفنه، وأضجعه في مدفنه حتى أقبل إلى حلقته، وما حبسه عنها أوار حرقته، فقيل له في ذلك، تعجبا من فرط صبره على ذلك الهالك، فقال -رضي الله عنـه-: لا أصطـلي نار حرقتين، ولا أجمع بـين مصيبتين، فجعل من أرزائه، ترك إقرائه، وسوَّى ثكل ابنه، بعدم الإفادة في ذلك اليوم بعينه:

إذا كـنـت أعـلـم عـلـما يقينا بـأن جمـيـع حـيـاتي كـسـاعـة
فـلـم لا أكـون ضـنـيـنـا بها وأجـعـلـهـا في صـلاح وطـاعـة

وصـدق -رضي الله عنـه- فذلك هـو الثكل الأكـبر، والصدع الـذي لا يجبر، فما أخلقه بالبكاء عليه والعويل، وأن يقال عند حصول موانعه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فعليه يحسن التفجع، ويطلب التوجع، لا على حظ من الدنيا مبخوس، مجبول على كدّ القلوب وتعب النفوس.

---

1) - وقـد كتـب القنصل الإنكليـزي، ريكوت إلى اللورد دارتمـاوث (Dartmouth) : «انظـر كم هي قليلة المبـالاة التـي أعطاهـا هؤلاء الناس إلى القنابل الفرنسـية التـي أحصيت عددها فـكان حوالي 6 آلاف، وأوفى المعلومـات التي حصلت عليها تقدر عـدد الدكاكين والمنازل التي هدمت بـ: 800 منزل»، انظر جون ب. وولف، المرجع الصابق 346.

اللهم لا تجعلنا من المفتونين بطاووس خيالها، ولا تغرقنا يا مولانا في قاموس أهوالها، اللهم اجعل لنا من ليل همها الذي سجا، فرجا ومخرجا، اللهم إنا نعوذ بك من اجتناب كل فضيلة، وارتكاب كل رذيلة، وأن نكون يا مولانا ممن يقال فيه: أحشفا وسوء كيلة:

إن مات فبه لا بظبي وإن عاش فحلف هوان وخزي

اللهم إنه ليس لي على الدهر حق يلطه، إلا عقل حمل العزم بطيبة وربطه، وإلقاء وقر الشوق عن مطاه وحطه، اللهم أنعم علي باقتضاء دَيْنِي، وأقر بذلك عيني، وحل بين مطل الأيام وبيني، قبل أن يفاجئني حين حيني، بجاه من اصطفيته على العالمين، وأرسلته إلى الخلائق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن ذلك عليك يسير، وفضلك يا مولانا بالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وليكن هذا المولى خاتمة من أردنا ذكره من أعلام هذه البلاد، من حاضر وباد، وإنما لم أحفل بسواهم، ممن تبوأ ذراهم، اكتفاء بالبحار، عن الجداول والأنهار، واستغناء بشموس النّهار، عن الدّراري والأقمار، وحرصا على إتيان بيوت المعارف من أبوابها، وتلقي درر المحاسن عن أربابها، واستمساك طريق الأخذ والرواية بأوثق عراها وأمتن أسبابها، إذ كل من سواهم ممن لم أزره، ولم أقل: له ما اسمك أذكره، أو لم يطل مقامي لديه، ولا عرّجت في طلب الإجازة عليه، فمنهم مفرّع، وبمطارف محاسنهم مدرّع، على أن بعض من ذكرته أصل البعض في بعض الفنون، وبحر جوهره الأسنى فيها ولؤلؤه المكنون، لكن تفرّعه عن غيره، وتضلّعي من بحره، وصفاء درّه، هو الذي أوجب إذاعة ذكره، وإشاعة شكره، لا زالت أنوار معارفهم تغص بها البدور، وأخبار محاسنهم تنجد وتغور، ولا برحت حلاهم تطاول الفرائد، في أطواق الخرائد.

[خروج المؤلف من الجزائر وتأسفه على فراقها]

ثم امتطيت للنوى، عن ذلك المأوى، ثبج ذلك البحر البعيد المهوى، وحصل لي من الوجْد عند فراق تلك الجزيرة، ما لم يحصل لمغيث إذ فارقته بريرة[1].

وقد أغذت بنا اليم جارية ... سوداء لا تستطيع الجري في يبس

كأنها وعباب الماء يزعجها ... تنص جيد مراعي اللحظ مختلس

كأن بيض نواصيها إذا انتشرت ... لواء صبح بدا في سُدْفة[2] الغلس

ذات صنع باهر، تركبت من السابح والطائر:

تجري فللماء ساق عائم درب ... وللرياح جناح طائر حذر

قد قسّمتها يد التقدير بينهما ... على السواء فلم تسبح ولم تطر

فلم أزل في مطاها، أتلو باسم الله مجراها ومرساها، والريح يركضها في ميادين الأهوال، ويجريها في موج كالجبال، والبحر تارة يروقنا ابتهاجا، كأنما كُسيَ ديباجا، وأخرى يتفاقم غيظه، ويشتد قيظه، ويكثر زبده، ويطول لدده، وتصطك أمواَجه، ويحاكي قلب المعذب بالهجران انزعاجه، ويهولنا ما أبداه من ذلك وأفشاه، حتى نجزم بأنه يدخلنا في حشاه، إلى أن شمنا برق السلامة، وسحت علينا من سحائب النجاة غمامة.

[ذكر ابتداء سفره إلى تطوان]

فوصلنا إلى محّل ابتداء سفرنا، ونهاية صدرنا، مدينة تطوان، ومغنى الأحباب والإخوان، -سلمها الله من طرائق البغي والعدوان-، قال كاتبه: -اتَّقته غمرات

---

1) مغيث وبريرة كانا زوجين عبدين فعتقت بريرة، «فكان مغيث يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا فقال النبي ﷺ لو راجعته قالت يا رسول الله تأمرني قال إنما أنا أشفع قالت لا حاجة لي فيه". انظر صحيح البخاري 5 / 2023 رقم: 4977.

1) السُدْفة: ظلمة الليل.

الدهر ونوائبه-، وكان من خبرنا، في ابتداء سفرنا، أنه لما تهيأ لنا السفر، وعنّ لنا وجه السداد وظهر، وعزمنا على امتطاء ثبجه[1]، ووضعنا أزوادنا بشط لججه، أبت سفينتنا أن تنقاد، وبركت لنا في حلق الواد، وكان هنالك سفينة أخرى أرادت مصاحبتنا في تلك المسالك، ومرافقتنا في تلك المهالك، فخرجت في الحال، كأنما نشطت من عقال، فشدَّ ذلك علينا، وكان من أعظم نعم الله لدينا، فما كان إلا ريثما حملوا متاعهم، ونشروا شراعهم، حتى قابلهم البحر بما راعهم، وغلب دفاعهم، وأبدى لهم من قطوبه، ما لا يُقْدَرُ معه على ركوبه، واستحال نسيمهم عقيما، وأوردتهم الزعازع عذابا أليما، ولما رأوا ما رأوا من عنفه، وعَزَمَ أن يدخلهم في جوفه، راموا الخلاص، ولات حين مناص، فملكوا زمام فلكهم ذلك القاصف، والريح العاصف، فرماهم في البر، وأعقبهم فادح الضر، فخابت مخيلتهم، وعظمت مصيبتهم، وكانت غنيمتهم أن تكسرت سفينتهم.

وأقمنا نحن هنالك أياما ننتظر إطفاء غضبه وإخماد لهبه، وفي ذلك أقول:

يا أيها البحر مهلا	فقد دهانا اهتياجك
إنا هممنا بأمر	منع منه ارتجاجك
لو كنت تدري لأبدى	سيما السرور ابتهاجك
يا ليت شعري إلى كم	يحكي فؤادي انزعاجك

وعندما أسفر لنا وجه ابتهاجه، وأمكننا من حئول أمواجه، طارت سفينتنا فيه بجناح، إلى أن أوردتنا الجزائر[2] من غير جُناح، فالحمد لله على ما أولى من الظفر، في الورد والصدر، والشكر له على النجاة من تلك الملمات التي يهون عندها الممات.

1) الثبج: هو علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه.

2) عند خروج ابن زاكور مبحرا من الجزائر أخذتهم العاصفة شرقا إلى «حلق الواد» بتونس فعلقت سفينتهم هناك، فركب سفينة أخرى متوجها إلى تطوان فمر بالجزائر ثم إلى تطوان.

[ذكر حلول المؤلف بتطوان، ولقائه بالشيخ أبي الحسن علي بن محمد بركة]

ولما حللت بتطوان -حرسها الله- وساعدني جِدِّي، وزرت ضريح جدي، وشمت غرر أهل ودي، انقشعت سحائب وجدي، وأنفقت فيها من الشعر على قدر وَجْدِي، فمن ذلك ما قلته.

وقد أحلّنا شيخنا العلامة الفقيه، الفاضل الوجيه، الذي جُعِل لمطارف محاسنها الموشية، علامة وشيّة، المصقع المدره، الذي أنار شمس الأدب وبدره، ذو اليمن والبركة، أبو الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة[1]، إحدى جناته، قد خلع عليها بعض صفاته، وأعارها بعض سماته، فاعتل نسيمها، وأَخْضَلَ[2] أديمها، ورق نعيمها، وراق شميمها، وأينع زهرها، وأنضج ثمرها، وفاح شذاها، ولاح سناها، بالمنزه المسمى بالكيتان، المطاول لغوطة دمشق وشعب بوان، ومعنا صاحبنا الأديب الأريب، الذي حاك من برود الأدب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن رطيب، أبو الحسن السيد الحاج علي الأندلسي عرف بمندوصة، أبقاه الله وأبنية مجده مرصوصة، فقلت:

تطوان وما أدراك ما تطوان ... سالت بها الأنهار والخلجان

قل إن لحاك مكابر في حبها ... هي جنة فردوسها الكيتان

وقلت أيضا:

تطوان تطوان لا شيء يضاهيها ... غنّت بلابلها إذ سال واديها

والفجر والليل لولا بعض من فيها ... لما نويت رحيلا عن مغانيها

---

1) هو علي بن محمد أبو الحسن الملقب بركة المالكي الأندلسي التطاوني توفي سنة 1120هـ انظر القادري التقاط الدرر 301.

2) أخضل: ندي وابتل.

وهذا الكيتان من أجمل المواضع، وأفضل المنزهات والمصانع، تَطَّرِدُ خلال رياضه أنهار، تجري في الصباح بذائب اللُّجَيْن وفي الأصيل برائق النضار، وتسجع بأدواحه أطيار، لا تدانيها نغمات الأوتار، قد اعتدل هواؤه، واشتمل بالابتهاج بهاؤه، تغص الزهراء بطلاوة مرآه، وتودّ الزوراء لو ترتدي بملاءة حلاه، وتحسد جماله النضير، وطرازه المرونق محاسن السدير، وبدائع الخورنق[1]، ترتاح النفوس في بساتينه، وتحي الأرواح بشم رياحينه، إن حلَّ من أنحله الوجد برباه، صاح من حينه واطرباه، وأسلاه تسلسل غدرانه، وتغريد ورشانه، عمن قطف لبه بأجفانه، ومزق قلبه بهجرانه، فيه راق شعري، وانقدح زناد فكري، سمرتُ ليالي بجناته، مقتبسا من نور شياته، ومتمتعا بنغمات أطياره، ونسمات أزهاره، فما شمت أبدع من سناها، ولا شممت أضوع من شذاها.

واهاً لها من ليال هل تعود كما ... كانت وأي ليال عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها ... وأي أنس من الأيام ينسيها

فلا أعرج أيام حلولي بتلك المغاني إلا عليه، ولا أحن أزمان بعدي عنها إلا إليه، فمن شعري فيه، وقد بَعُدْتُ عن مغانيه، قولي من قصيدة أولها:

[قصيدة للمؤلف في الحنين والتشوق]

قفا حدثاني عن مغان وأربع ... بجزع النقا بين الهضاب فأنقع
فبانة جرعاء الحمى فظبائه ... فآرامه اللاتي رتعن بأضلعي
وعن ذي حباب بالرياض مسلسل ... يسيع كما انساب الحباب بأجرع

---

1) الخورنق: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة، فبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه سنمار، وكان بناه في عشرين سنة. وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنمار، وهو في زعم الإخباريين بنّاء رومي كلفه النعمان بناء القصر، فلما انتهى منه وكمل تعجب من حسنه وإتقان عمله، وبدلا من أن يوفيه النعمان وفاءً حسنا، أمر به فطرح من رأس الخورنق، فمات ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيء، فيقال: «جزاه جزاء سنمار» انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 3 / 200.

فشبه بـه والشـمس راق أصيلها جمانـا عـلى سـيف بتـبر ملفـع
سـقى مرتـع الأحبـاب ديمـة واكـف وهـل غـير أوطـان الأحبـة مرتعـي
وإني وإن أمسـيت في فـاس ثاويـا لتطـوان آمـالي وفيهـا تلوعـي
ديـار أنـاخ الحسـن في عرصاتهـا وأرخـى عـلى أرجائهـا كل برقـع

ومنها:

رعـى الله أحبابـا بتطـوان كلـما ذكرتهـم اهتاجـت شـعائل أضلعـي
أأحبابنـا فيهـا هـل الدهـر سـامح بلقياكـم قبـل الحلـول بشرجـع[1]
وهـل لي في الكيتـان نزهـة وامـق عسـى أشـتفي مـن لوعتـي وتفجعـي
فيـا نهـر الكتيـان جادتـك ديمـة مـن الوابـل الهتـان غـير مصـدع
ويـا منـزل الأحبـاب لازلـت آهـلا بأهـل العـلى تزهـو بـكل سـميذع[2]
ويـا جملـة الأحبـاب مني عليكـم سـلام كأنفـاس العبـير المشعشـع

ويشبه هذا المعنى، وإن لم يكن فيه تصريح بذلك المغنى قولي أيضا:

يـا دار مـن أهـوى رعـاك الله وتـفـجّـرت بـريـاضـك الأمـواه
وغـدوت في حلل النضارة تزدهي وهـفـا عليك مـن الـصبـا أنـداه
مـا كـان آنـق نـزهـة سلفت لنا بـربـاك إذ بـرق المـنـى شمناه
والـدهـر سـالمـنـا وفـل شباته عـن حـربـنـا وأحـبـتـي مـا تـاهـوا
والأنـس ينظم شملنا في سلكه والـوصـل صـافـح يمننا يمناه
في جنـة مـا كـان ألـطـف نشرها حـسـدت عليه أنـوفـنـا الأفـواه
مـاسـت لـدان غـصـونهـا لمـا شـدا شـحـرورهـا الـنـشـوان واطـربـاه

---

1. الشرجع: السرير يحمل عليه الميت، وقال الأزهري: هو النعش.

2. السميذع: هو السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف والشجاع.

وتبسمت أزهارها لما بكى ... فيها الحيا همالة عيناه
أفشت نواسمها سرائر نورها ... لله سر النور ما أفشاه
والروض مبتهج الأصائل والضحى ... سقيا لذاك العصر ما أحلاه
ما كان إلا ريثما انتعشت به ... أرواحنا حتى استرد سناه
واغتالنا صرف الحوادث والنوى ... عجبا لهذا الدهر ما أجفاه
آه لما ألقاه من وجدي على ... ما قد مضى لو كان ينفع آه
يا ليت شعري والمنى عين الغنى ... والمرء قد يحظى ببعض مناه
أيروض خصب الوصل بستان المنى ... فلطالما محل النوى أذواه
لوما الذي أرجوه من جمع على ... دعة قضيت كآبة لوماه
ما إن تزال سحائب كمدا معي ... تسقى منازه أنسنا ورباه
وتحيتي موصولة كمودتي ... تترى إلى من في الحشا سكناه
كنواسم العهد الذي من طيبه ... تذكي سعير أضالعي ذكراه
فبلابلي من بعده موقودة ... والشوق لا يدريه إلا الله

وقد ذكر هذا المعنى الحسن، صاحبنا الأديب أبو الحسن، بلغه الله ما أمله، وأسعده في حجه الذي أمّ له، في قصيد له فريد أوله:

[قصيدة للأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي]

إن الصبا لما سرى سحرا ... نسماته بروضنا الأشجر
أذكاه حتى خلت نسمته ... سحيق مسك ضاع في المجمر
لا بل كورد أصبح الطَلّ[1] في ... أوراقه كالدر والجوهر
فاستنشقن عرف الرياض التي ... فاستنشقن عرف الرياض التي

1. الطل: المطر الخفيف.

ومنها:

تحكي ضياء الشهب إن طوقت	جيد التي تزهو على المشتري
ترى الشقيق شق أجيابه	مخافة من ورده الأحمر
والنرجس الغض همى جفنه	فوق بساط سندس أخضر
والأرض تهتز بأنوارها	كم أزرق فيها وكم أصفر
والآس يشبه الدلال على	خدود ظبي أهيف أحور
سقى الشمال روض كيتاننا	بنافع وعارض ممطر
يا حبذا ريح الشمال التي	قد قال فيها صاحب المغفر
صلى عليه الله ما كتبت	يد الربيع رائق الأسطر
نصرت بالصّبا وأهلك عـ	ـاد بالدّبور إن قولي حرى
لولاه ما نلنا الذي نرتجي	ولا كرعنا حوض ما الكوثر

[ذكر الأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي]

وهذا الفاضل رعاه الله، وأعانه على ما نواه، ناظم درر تلك المغاني، ومزينها بأنصع الألفاظ وأبدع المعاني، فهو شاعرها المصقع، وبحر أدبها الذي أربى على كل منقع،لم يزل طائفا بكعبة القريض، وقاطفا ما راق من نور روضه الأريض، حتى جاء منه بما هو أسحر من الطرف الأحور والجفن المريض، له قصائد، آنق من فرائد القلائد، ومقطعات بيواقيت الإبداع مرصّعات، مع رقّة، من نسمات السحر مشتقّة، وطلاقة تسلي كل ذي علاقة، فكلما وَرَدْتُ إلى مغانيه، أبهجني برائق معانيه، وطرب إليّ وهش، وقابلني من تأنيسه بِرَذَاذٍ وَرَشٍّ، وحملني إلى ضياعه، وشنَّف سمعي بأجناس أدبه وأنواعه.

والذي أولاه هذه المنقبة، وأرقاه هذه المرقبة، شيخنا العلامة ذو اليمن والبركة، أبو الحسن سيدي علي بن محمد بركة، لأنه في الحقيقة زين تلك البلاد، الذي أولاها من المحاسن الطارف والتلاد، حتى فاخرت مصانع بغداد، وطاولت زاهر ابنِ عباد[1]، إذ هو الذي أصار تُرْبَهَا تِبْرَا، لما طلع في سماء معارفها بدرا، وأعاد حصباءها درا، لما فاض في أرجائها بحرا، ولولا ما أولاها من المحاسن، ما عذب ماؤها الآسن، فبجماله تذكر، وبروائه تحمد وتشكر، أبقاه الله يبدي جمالها، ويظهر كمالها، ومن مدحي فيه هذا القصيد الذي ألم بفضله، ولم يستوفه وهو:

[مدح المؤلف لأبي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة]

إلى ما فؤادي يذوب زفيرا ... لقد كدت أقضي معنى حسيرا

عراني من الوجد ما قد نفى ... كراي وأذكى حشاي سعيرا

فمن رقة قد حكيت نسيما ... ومن دنف قد حكيت نقيرا

وشيبني والشباب نضير ... صدود الألى أودعوني زفيرا

ومن لسعته أفاعي الصدود ... فأجدر به أن يشيب صغيرا

فماذا على ودهم لو دنا ... وما ضر لو نعشوني يسيرا

وماذا على عاذلي لو غدا ... عذيرا لمن كان مثلي أسيرا

فيا عاذلي لا تكن عاذري ... ولست أؤمل منك عذيرا

ويا هاجري لا تكن واصلي ... إلى أن توازي الحصاة ثبيرا

فمذ شمت برق العلى والهدى ... لدى بركات العلى مستطيرا

---

1) هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم المعتمد على الله، المشهور بابن عباد، من أشهر ملوك وشعراء الأندلس، توفي منفيا في أغمات سنة 488 هـ،انظر ابن خاقان، مطمح الأنفس 69 والمقري، نفح الطيب 6 / 22.

سلوتك فانجاب ليل الأسى وأسفر صبح السرور بشيرا
فلا مقلتي تستهل دما ولا كبدي تتداعى فطورا
ومن شام برق العلى مستطيرا فلا يعدمن ودا[1] وحبورا
وهان علي الذي قد لقيت لما سقاني نداه نميرا
وأنقذني من ظلام الهوى وكان لقلبي المعنى مجيرا
إمام تسربل بالمكرمات وأرخى إزار العفاف كبيرا
وطاول بدر السماء منيرا وساجل قطر الغمام غزيرا
و أضحى لكأس المعالي مديرا وأمسى لروض العلوم سميرا
تواضع حلما فزاد ارتقاء ورام خفاء فزاد ظهورا
ومن رام إخفاء بدر الدياجي بجنح دجى زاد نورا كثيرا
تناهت مذاهبه في العلى فليس يرى لسواها ظهيرا
فطورا تراه لقوم بشيرا وطورا تراه لقوم نذيرا
وكاين تراه يفك المعمى ويوضح ما كان صعبا عسيرا
إلى رقة لو حواها النسيم لما قصف الدهر غصنا نضيرا
ونظم ينسيك شعر جرير إذا أنت عاينت منه سطورا
ووجه جلي البشر عنه الوجوم فليس يرى أبدا قمطريرا
تضيء الدياجير غرته فتحسبها قبسا مستنيرا
الأهل أتى معشري أنني علقت بتطوان علقا خطيرا
وآويت منها إلى جنة فلا شمس فيها ولا زمهريرا
لدى عالم قد حوى عالما وحبر تضمن خلقا كثيرا

1) في الأصل: ددا.

وألحفها من محاسنه   بـرودا حكت سندسا وحريرا
وأسرجها بسراج الهدى   وكم مكثت قبل تحكي قبورا
فلا نجد إلا استطار سنى   ولا غور إلا تلألأ نورا
ولا غصن إلا تثنى ارتياحا   ولا طير إلا تغنى سرورا
وضاء سناها وضاع شذاها   فشمت سنى وشممت عبيرا
إمام الورى بشفيع الورى   أصخ لنظامي وكن لي عذيرا
وأسبل عليه برود القبول   فلست حبيبا[1] ولست جريرا
وهبني كذاك فمن لي بما   أحلي به مجدك المستنيرا
ومن أرهقته خطوب الدنا   فكيف يحوك القريض النضيرا
فعذرا لمن خانه، دهره   وأخنى عليه الزمان مغيرا
ودونك مني سلام كريم   يفاوح عرفه روضا مطيرا

ومن شعره الذي يحي قتيل الهموم بنشره، ما كتب به إلى صاحبنا الأديب المتقدم الذكر، وقد كان سأله كتاب «قلائد العقيان»[2] فبعث إليه به، وكتب له ما نصه:

أبشر أبا حسن[3] بوصل دان   واهنأ بنقعك غلة الظمآن
وازفف خرائد طالما قد أهملت   من فقدها لقلائد العقيان
فالآن حل نحورها كي تجتلي   أقمارها في السر والإعلان
لا تختشي صرما لما قد نلته   والْثم وعانق دائم السلوان
لا زال مجدك صاعدا في أوجه   وتحيتي تترى مدى الأزمان

1. يقصد: أبا تمام حبيب بن أوس.

2) المسمى قلائد العقيان في محاسن الأعيان تأليف الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي أبو نصر الإشبيلي توفي سنة 528هـ، انظر الزركلي الأعلام 7 / 134.

3) أي : أبي الحسن الحاج علي الأندلسي المعروف بمندوصة.

ولـه – أبقـاه الله– قصائد طـوال، حلّى بها مـن خرائد المحاسـن كل معطال، لكن الأليق بهذا المقام، أن يذكر من شِعْرِه الرائق النظام، ما اشـتمل على الفوائد العلمية، والأبحاث الرقيقة السنية، فمن ذلك هذا الرجز النضير، عدَّد فيه المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير، وهو:

[رجز لمحمد بركة عدد فيه المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير]

أحمـد ربي وأصـلي دون عد	عـلى محمـد ومـن لـه اسْتـنـدْ
قـاعـدة الـضـمـير أن يـتّـصلا	في الاخـتـيـار والـتـأتي أصـلا
وإن تـعـذّر اتـصـالـه انـفـصـلْ	وذاك في اثـنـين وعـشرة حصل
في حـصره بـإنـما أو إلا	أو سـبـقـه لـعـامـل تجـلّى
ومـثـلـه الـفـصـل بـعـائـد بـدا	وحـذف عـامـل لـه قـد وردا
كـذاك حـرف النفي إن فيه عمل	أو واو صحبة كـذا أيضا جعل
ورفـعـه بـصـفـة قـد أسـندت	لغير مـن في نفس الأمـر وجـدت
فـمـطـلـقـا يـفـصـلـه الـبـصري	ومـع لـبـس يـفـصـل الـكـوفي
ورفـعـه بـمـصـدر أضـفـتـه	إلى الـذي محـلّـه نـصبتـه
وفـصـلـه مـسـتـوجـب بـإمـا	ولام فـرق بـعـد أن قـد أمـا
كـذاك أن ينصب بعامل عمل	في مضمر من قبل فالنصب وصل
لـكـن مـع اتحـاد رتـبـة يـتـمّ	بـه انـفـصـالـه وذاك قـد حتم
وزاد في التصريح[1] أعنى الأزهـري	عكس الـذي قبل مضى في المصدر
وذاك أن يـضـف لمـرفـوع وقـد	أكـمـل بالمنصوب مضمرا فقد

1 . المسمى التصريح بمضمون التوضيح وهو حاشية على توضيح ابن هشام تأليف خالد بن عبد الله بن أبي بكر زين الدين الجرجاوي الأزهري توفي سنة 905 هـ، انظر الزركلي الأعلام 297/ 2.

وزاد أيضا أن يكون في النّدا ... كمثل يا إياك أو أنت اقعدا

لكن يقال هذه مرادة ... في حذف عامل فلا زيادة

هذا وأهدي للإله حمده ... على تمام ما أردت عدّه

ثم الصلاة والسلام كل حين ... على الرسول والصحاب أجمعين

وله أطال الله بقاءه، ونضر رواءه، سائلا شيخه، شيخنا الإمام، علم الأعلام غنية الوارد والصادر، أبا عبد الله سيدي محمد بن المولى سيدي عبد القادر، -أبقاه الله، ونضر ضريح والده وأرضاه-، عن معنى قول خير من اجتباه الله وفضله، «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له»[1]، بما صورته:

[قصيدة لمحمد بركة سائلا بها محمد الفاسي عن معنى حديث]

الحمد لله في الأحيان والمدد ... ثم الصلاة على المحفوف بالمدد

وآله وكذا الصحب الكرام ومن ... يقفو سبيلهم في أقوم الجدد

هذا وأهدي إلى الشيخ الذي بهرت ... أعلامه وغدت تنبو عن العدد

أزكى سلام عميم عرفه عاطر ... يهمى عليه بطول الحين والأمد

يا أيها العالم الصدر الذي شرفت ... فاس به وازدهت بالعلم والرشد

إنا نريد الجواب منكم كرما ... يروي ويغني عن الينبوع والثمد

عن قول خير الورى المختار سيدنا ... عليه أسنى صلاة الواحد الصمد

في جلد أضحية ما إن لبائعه ... أضحية أو كما قد جاء بالسند

هل الثواب نُفِي أو الكمال فُقِد ... أم صحة جملة يا مبتغي خلدي

وإن يكن للثواب النفي مرجعه ... فهل عن الجلد لا عن سائر الجسد

بين لنا ولكم أجر يفوق ولا ... زلتم بنور وعلم دائم الأبد

ثم الصلاة على خير الأنام ومن ... أضحى بمنهجه الأقوى على سند

---

1) انظر المستدرك للحاكم 2 / 422 رقم 3468 وقال فيه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[جواب أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي بقصيدة]

فأجابه شيخنا المذكور، -أطال الله بقاءه في جذل وحبور- بما نصه:

الحمد لله حمدا جلّ عن عدد	ثم الصلاة مع التسليم للأبد
على النبي وآل والصّحاب معا	والتابعين طريق الحقّ والرشد
وبعد وفّقت للخير ونلت هدى	وأدركتك عنايات من الصمد
فاعلم بأن الخلاف في نظائر ما	ذكرت مشتهر يرويه ذو السند
هل مجمل والأصح لا وقد صرفوا	نفيا لصحته فاقصده تقتصد
فالأصل هذا لأن النفي حيث جرى	للذات فالأقرب الصحة فيه قد
لكن يخالف هذا الأصل إن ظهرت	قرينة كحديث اللغو فاتئد
والمناوي[1] على نفي الثواب مضى	جزما ولم يبد من ذكر لمستند
إن قلت إن حصل الثواب ليس له	رفع بها بعد من إثم فلا تحد
أجيب عنه بما أجيب عن صدقات	بالأذى بطَلت رعيا لمعتقد

[شرح أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي لقصيدته]

وكتب بعد هذا النظم موضحا لما تضمنه ما نصه: إيضاح وبيان لما أشارت إليه الأبيات:

أما الخلاف المشار إليه في نظائر العبارة المذكورة في الحديث المسؤول عنه، فهو ما ذكر في كتب الأصول في نحو: «لا صلاة إلا بطهور»[2]، [و][3]«لا صلاة إلا

1. في الأصل المنوي، وهو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، توفي سنة 1031هـ، انظر الزركلي، الأعلام 6 / 204.

2) رواه مسلم في: الصحيح 1 / 204 رقم 224 بلفظ: «لا تقبل صلاة بغير طهور».

3) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

بفاتحة الكتاب»[1]، و«لا صيام لمن لم يبيت»[2]، و«لا نكاح إلا بولي»[3]، فالجمهور: لا إجمال، وقالت المعتزلة: مجمل، لتردده بين نفي الصورة والحكم، وقال القاضي: مجمل، لتردّده بين نفي الصحة والكمال، ولا مرجح لواحد من الاحتمالين، وفي شرح «المعالم» للفهري [4] الجواب من وجهين: الأول: أنه إذا كان للشارع النّقل، فلا مانع من إضافة النفي إلى المسمى الشرعي إن أمكن، ثم لو سلم عوده إلى الحكم، فنفيُ الصحة أظهر لوجهين، أحدهما: أن مثل هذا يستعمل في العرف لنفي الجدوى والفائدة، كما يقال: «لا علم إلا بعمل، ولا بلد إلا بسلطان»، ونفي الصحة أظهر في بيان نفي الفائدة.

الثاني: أنه يشعر بالنفي العام، ونفي الصحة أقرب إلى العموم من نفي الكمال، لأن الباطل لا اعتبار له بوجه، فساوى العدم. اهـ

وعلى هذا الوجه الثاني، اقتصر غير واحد كالعضد[5] والمحليّ والغزالي، وبحث فيه بعض شرّاح «المنهاج»[6]، فقال: «وقد يقال: هذا معارض بأن نفي الكمال يتعين دون نفي الصحة، وبأن فيه تقليلا للإضمار والتجوز المخالف للأصل. انتهى، ولعلّ هذا القدر كاف في بيان أصل الخلاف المشار إليه، فلنقتصر عليه.

---

1) البخاري، الصحيح 1 / 263 رقم 723 ومسلم الصحيح، 1 / 295 رقم 394.

2) رواه النسائي في: الصغرى 4 / 196 رقم: 2331 بلفظ: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

3) أبو داود، السنن 2 / 229 رقم 2085 والترمذي، 2 / 185 رقم 2183.

4) شرح المعالم تأليف عبد الله بن محمد بن علي أبو محمد شرف الدين التلمساني الشافعي توفي سنة 644هـ، انظر الأعلام للزركلي 4 / 125.

5) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي الشافعي توفي سنة 756هـ انظر ابن حجر الدرر الكامنة 2 / 322.

6) المسمى المنهاج في الأصول تاليف عبدالله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي اختلف في سنة وفاته، قال الصفدي سنة 685هـ، وقال السبكي سنة 691هـ، انظر الداودي طبقات المفسرين 174.

وأما قولنا: «لكن يخالف هذا الأصل...» البيت، فالمراد: أنه قد يقوم دليل وقرينة تعين نفي الكمال دون الصحة، كما في حديث: «من لغا فلا جمعة له»، وانظر الحديث المسؤول عنه، هل هو مثله؟، فإني لم أقف على من قاله، ولا على ترجيح في الاحتمالين فيه، سوى ما يفهم من كلام المناوي[1]، وإليه الإشارة بقولنا: «والمناوي على نفي الثواب مضى»، والمراد أن المناوي شارح «الجامع الصغير» اقتصر في «شرحه الكبير»: على نفي الثواب، من غير ذكر مستند، ونص الحديث: «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له»، ونصه في شرحه: أي لا يحصل له الثواب الموعود للمضحي على أضحيته. اهـ

وعلى هذا المعنى حمل نفي القبول في حديث: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا»[2]، وفي حديث: «إذا أبق العبد من مواليه، لم تقبل له صلاة حتى يرجع إليهم»[3]، رواهما مسلم، وكذا حديث: «من شرب الخمر فسكر، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا»، رواه ابن حبان[4] والحاكم[5]، وكذا في الموطأ[6]، من قول عائشة لزيد بن أرقم، في مسألة: الربا أبطل جهاده، ونحو ذلك.

وقولنا: «إن قلت إن حصل الثواب إلخ...»، إشارة إلى سؤال يرد على نفي الثواب، وهو أن يقال: إن حصل الثواب بالذبح فلا إحباط له بعد ذلك؟، وجوابه: أن الإحباط غير لازم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ **(البقرة: من الآية264)**، فقد قيل ربما وازى عقاب المنِّ والأذى، ثواب الصِدقة أو زاد، فكان

---

1) في الأصل المنوي.

2) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 7 / 394 رقم 2230.

3) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 1 / 265.

4) انظر صحيح ابن حبان 12 / 179 رقم 5357.

5) انظر المستدرك للحاكم 1 / 388 رقم 945 وقال فيه حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

6) لم أقف عليه الموطأ، وقد ذكره الباجي، المنتقى شرح الموطأ 6 / 36.

كالإبطال، لمآله إلى أن لا ثواب، فقد يقال مثل ذلك هنا، وقال ابن عطية في الآية: «العقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات، فقال جمهور العلماء: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمنّ أو يؤذي فإنها لا تتقبل صدقة، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمارة، فهو لا يكتبها، وهو أحسن، لأن ما نتلقى نحن عن المعقول من بني آدم، فهو أن المانّ المؤذي ينص على نفسه أنها لم تكن لله، على ما ذكرنا قبل، فلم تترتب له صدقة، فهذا هو بطلان الصدقة بالمنّ والأذى». اهـ

وقولنا: «ومع نفي الثواب إلخ...»، إشارة إلى أن نفي الثواب أعمّ من نفي الصحة، وقد قيل ذلك في أحاديث نفي القبول المتقدمة، وكذلك في مسألة الواحد بالشخص له جهتان، كالصلاة في المغصوب، وإن كان التحقيق خلافه، وقد قرّر القرافي[1] في «فروقه»: «أن سقوط الخطاب لا يستلزم الثواب»، ونازعه ابن الشاط[2] في ذلك، وفي «الإحياء» للغزالي ما هو صريح في مخالفة القرافي، وإن الفعل المستجمع للشرائط لا يطلق عليه أنه غير مقبول، ويثاب عليه، وهذا المقدار كاف فيما ينبني عليه النظر في المسألة، ويتفرّع عن ذلك أنظار ومباحث يطول تتبعها، والله سبحانه أعلم بالصواب. والسلام الأكمل الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن عبد القادر الفاسي غفر الله له ولمن دعا له ولوالديهما. اهـ الجواب المبارك.

[تعليق أبي الحسن الحاج علي بن محمد بركة على جواب محمد الفاسي]

فأورد عليه شيخنا السائل، ما لم أطلع عليه الآن من المسائل، وحاصله حسبما أنهاه إليّ بعد كتبي هذا ما أنا ناقله وهو: أن ما أجيب به عن الآية في إبطال الصدقات بالمنّ

1) هو أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي شهاب الدين أبو العباس القرافي المصري المالكي توفي سنة 684هـ، انظر ابن فرحون الديباج 128 وابن مخلوف شجرة النور 188.

2) هو قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط أبو القاسم الأنصاري السبتي المالكي توفي سنة 723هـ، انظر ابن مخلوف شجرة النور 217.

والأذى، من كون عقابهما ربما وازى ثواب الصدقة أو زاد، فيؤول إلى أن لا ثواب، قد يلوح منه القول بالموازنة بين العقاب والثواب، الذي هو عند أهل السنة خلاف الحق والصواب، والذي كنا نعتقده في ذلك: أنه لما كان يعاقب، صار كأنه لا ثواب له، وكلام ابن عطية[1] المنقول بعد ذلك، حسن سديد، ثم إنا لم نفهم وجه التردد في حمل الحديث المذكور على نفي الكمال، مع الجزم بحمل غيره على ذلك، والقرينة في الكلّ خارجية. اهـ

من خط صاحبه، الذي ملئت أنجاد تطوان وأغوارها بمناقبه.

فأجابه شيخنا المذكور، لا زال مشتملا بالبهاء والنور، عن هذه المراجعة بما نصّه، ومن خطه نقلته، بعد أن قرأته عليه وتأملته:

[ردّ محمد الفاسي على تعليق أبي الحسن علي بن محمد بركة]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، المحبّ الأصفى الفاضل العلامة سيدي علي بن محمد بركة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فالذي عندنا في إبطال الصدقة بالمنّ والأذى على مقتضى الجواب الأول: هو ما أشرتم إليه آخرا، من أنه لما كان يعاقب صار كأنه لا ثواب له، وفَهْمُ كلام أئمتنا على هذا الوجه متعّين، إذ مرادهم التخلص من القول بالإحباط، فكيف يقصدونه؟، ويتضح المراد بأن يقال: من لم يتصدق، ولم يؤذ، ولم يمنّ، أحسن حالا ممن جمع بين الصدقة والمنّ والأذى، إذ لا يعدل بالسلامة شيء، وفي «العتبية»[2]: قال مالك -رضي الله عنه-: بلغني أن ابن عباس -رضي الله عنهما- سئل عن رجل كثير الصلاة كثير الصوم وهو

1) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي توفي سن 541هـ، انظر النباهي المرقبة العليا 122 وابن فرحون الديباج 275.

2) هي ثاني دواوين المالكية المعتمدة تأليف محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة أبو عبد الله القرطبي المالكي توفي سنة 254هـ انظر عياض ترتيب المدارك 2 / 144 وابن مخلوف شجرة النور 75.

يقـارف الذنوب، ورجل قليل ذلك منه، وهو سـالم فقال: لا أعدل بالسـلامة شـيئا، قـال القاضي ابن رشـد[1]: هذا بيّن على ما قاله، لأن ما عُـصي الله به -عزّ وجلّ- وإن صغر فهو عظيم، فمن قلّت حسـناته وسـيئاته، أقرب إلى السلامة ممن كثرت حسانته وسيآته، إذ لا يدري قدر الثواب في حسانته، ولا تقبلت منه أم لا؟، ولا قدر الإثم في سيآته، لا سيما إن تعلق في ذلك حق لمخلوق. انتهى

ولعلّ اختيار غير واحد لهذا الجواب، لأن فيه إزالة الإشكال، على فرض وقوع الصدقة حـين وقوعها مصحوبة بالإخلاص، مستوفية للشروط، ثم يعـرض بعد ذلك ولو بمدة طويلـة مـنّ أو أذى، فإنه قد يتصـور وجود ذلك مع رجاء صحة العمـل وحصول ثوابه، وأما كلام ابن عطية، فمداره فيما يظهر على أن الصدقة التي يعقبها منّ أو أذى لا قبول لها، ولا تكتب في الحسـنات رأسـا، وكأنه استشعر نظرا في ذلك، فدعّمه بما ذكر في آخر كلامه مـن دلالـة المنّ والأذى، على أنها لم تكن لله، وكأنـه أراد أن النهي عن المنّ والأذى نهي عن تـرك الإخلاص من باب الكناية، وإرادة الملزوم من اللازم، ويردّ أنه أغلبي وليس بلازم، اعتبارا بالصورة التي فرضنا وقوعها أولا، وقد يجاب بأن سياق الخطاب مع أهل المقامات العليّـة، المتحلّين بكمال الإخلاص والصـدق، وكل انحطاط في مثل هذا المقام نقص، من باب: «حسـنات الأبرار سـيئات المقرّبين»، بل صدوره منهم في غاية البعد، إلا أن وقوعه غير محال كما عُلم، أو يقال: شـأن آيات الكتاب العزيز اسـتنهاض النفوس لمراقي الكمال تصريحـا، وإفهـام العتاب والمؤاخذة بالسـكوت عـن مرتبة النقص تلويحا، والله سـبحانه وتعالى أعلم.

وأما التردّد في حمل الحديث المسـؤول عنه على نفي الكمال، فموجبه عدم النص لمن تقـدّم، وعدم العلم بالقرينة الخارجية، فبقي مجال للاحتمال في الجملة، بخلاف مسـألة

---

1) محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد القرطبي المالكي، شيخ المالكية، الامام العلامة قاضي الجماعة بقرطبة توفي سنة 520هـ انظر ابن مخلوف، شجرة النور 129 والذهبي سير أعلام النبلاء 19 / 501.

إنصات الجمعة، فهي منصوصة مشتهرة، قال ابن عبد البر[1]: الذي عليه أصحابنا أن الصمت واجب، لسنة رسول الله ﷺ، وهي سنة مجتمع عليها معمول بها، وقد أجمعوا على أن من تكلّم ولغا لا إعادة عليه للجمعة، ولا يقال له صلّها ظهرا، فلما أجمعوا على ما وصفنا، دلّ على أن الإنصات ليس من فرائضها، لأن الشأن في فرائض الصلاة أن يفسد العمل بتركها. انتهى

و لا يبعد أن يقال - على قياسه في مسألة الأضحية -، لو كان النفي للصحة لا للكمال، لقالوا: إذا باع شيئا من لحمها أو جلدها مثلا ووقتها باق يؤمر بإعادة الأضحية، ولم يقولوه، وإنما قالوا يفسخ البيع إن عثر عليه، وإلا تصدق بالعوض في الفوت، ولم نقف على تقييد بغير زمنها، ولا على قول بالإعادة فيها، والله أعلم.

ومما أذكره لكم مما يتعلق بالمسألة في الجملة، أن هذا اللفظ وهو: «من لغا فلا جمعة له» لم أجد من ذكره على أنه حديث، ولفظ الحديث: «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» كذا في «الموطأ»[2] وغيره، وفي بعض رواياتها: «والإمام يخطب يوم الجمعة»، وهكذا أورده السيوطي في «جامعه الصغير»[3]، وعزاه لأحمد[4] والشيخين[5] وأبي داود[6] والنسائي[7] وابن ماجة[8]، ونقل ابن عبد البر عن عكرمة وعطاء أنهما

---

1) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم أبو عمر النميري القرطبي المالكي توفي سنة 463هـ،انظر عياض ترتيب المدارك 2 / 808 وابن مخلوف شجرة النور119.

2) انظر الموطا 1 / 103 رقم 232.

3) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي 1 / 122.

4) انظر المسند 2 / 532 رقم 10901.

5) انظر صحيح البخاري 2 / 14 رقم 934 وصحيح مسلم بشرح النووي 1 / 330 رقم 851.

6) انظر السنن 1 / 290 رقم 1112.

7) انظر المجتبى 3 / 104 رقم 1402.

8) انظر السنن 1 / 352 رقم 1110.

قالا: «من قال صه والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[1]، قال أبو عمر: يريد في تمـام الأجـر، لأن الفقهاء في جميع الأمصار يقولون: إن جمعته مجزية عنه، ولا يصليها أربعا. انتهى، والله سبحانه الموفق.

وكتب عبيد الله سبحانه محمد بن عبد القادر كان الله له. انتهى

[قصيدة الشيخ علي بركة في مدح أبي عبد الله الفاسي]

وقـد نظم المولى الشـيخ عـلي المذكور قصيدة في مدح شـيخنا المجيـب أبي عبد الله -أبقاه الله- ضمّن فيها ذكر ما تقدم من سـؤال وجواب، أنهاها إلي بعد كتبي ما تقدم في هذا الباب، وهذا نصها:

حمـد الإلـه ابـتـدا مـن أوثـق العدد ... وصـلـوات وتـسـليـم بـلا عـدد

على الرسول وآلٍ والصحاب ومن ... يقفو سبيلهم بأحسـن العـدد

هـذا ونـور الإلـه لم يـزل بهجا ... ومستـنيرا مـدى الآنـاء والمـدد

مـازال يـودعـه في كـل مـا خلف ... عـن كل مـا سلف في سـالف الأمـد

مصداق قـول الرسـول أن طائفة ... ليست تـزال بأمـر الله في صعد

فـإن أردت العيان فـات فـاس تجد ... بهـا معـاقـلـهـم حـقـا بـلا فند

تلفى بها السيد الفاسي الذي ظهرت ... أنـواره كظـهـور النـار في سند

وهو ابن شيخ المشائخ الذي اجتمعت ... لـه مـكـارم مجـد دون مـا كبد

من انـزوى وانضوى قصدا لزاوية ... لـه بـفـاس حـظـي بـالـفـوز للأبد

أهمـى الإلـه عليه سحب رحمته ... وخـصـه بـمـقـام لـيـس ذا كمد

وقـد أقـام الإلـه نجـلـه خلفا ... محمدا شيخنا ذا العلم والرشد

ومـن بحور لـه في العلم مـدّ لنا ... بـحـرا ولكنه عـذب لكل صدي

---

1) انظر فتح المالك بتبويب التمهيد على موطأ الإمام مالك 2 / 254.

لما طلبنا لديه علم ما قد أتى من الحديث الأصيل المتن والسند
من باع جلد الذي ضحى به سفها فلا ضحية إذ ما قد أتاه ردي
فكان منه جواب ناصع نضر بالنظم والنثر مبنيا على عمد
وساقه بمساق لا نظير له مبينا أصله رعيا لمستند
وكونه من نظائر لها نمط كَـلاَ صلاة ونحو ذاك فاعتمد
فمجمل قال قوم ذاك حيث جرى وعكسه تحتذيه خير معتقد
كذاك إجماله للقاضي فيه عزى مع بيان له فاسمعه تعتضد
هل نفيه للكمال أم لصحته وعضدوا آخرا فصار ذا عضد
إلا إذا عينت نفي الكمال به قرائن كحديث اللغو فاستند
وبعضهم خص بالنفي الثواب بلا تردد وبلا ذكر لمعتمد
عليه إن قيل ما بال الثواب نفي وقد غدا ثابتا بإثم معتمد
فذا جوابه ما بصدقات أتى إبطالها بالأذى والمنّ فاعتقد
وليس مستلزم نفي الثواب بذا نفيا لصحته فاعلمه واجتهد
هذا مضمن ما في النظم فاقتنه وإن ترد بسطه من نثره فرد
فقد أجاد وأبدى من نفائسه ما ليس يبلغ شأوا فيه من أحد
فنسأل الله أبقاه لرتبته قرير عين سليم الأهل والولد
هذا وأهدي له أذكى[1] تحيتنا تشدو بمعهده بأطيب الغرد
والحمد والشكر للمولى على نعم وصلوات وتسليم على سند
محمد وصحابة والآل ومن قفاهم ما همى القطر مع البرد

[استفتاء المؤلف لعلي بن محمد بركة حول القصر والإتمام]

قال كاتبه، - حمدت عواقبه - ولما خرجنا من البحر، وخلصنا من تلك المهالك التي كنا منها بين السحر والنحر، وكنا من البلد، على نحو ميلين أو أشد، حال بيننا

1. هكذا بالأصل ولعلها أزكى.

وبينهـا مـن الموانع برزخ، أضرم في جوانحنا نار أسـى جمرها لا يتبوخ[1]، فأشـبه عليّ الأمر، أَحُكْمنا الإتمام أم القصر؟، فكتبت له من هنالك، مستفتيا عن ذلك،

[جواب علي بن محمد بركة للمؤلف]

فأجابنـي -رضي الله عنـه- بعـد كلام باهر النظام، بما نصه: هـذا وما ذكرتموه من القـصر عنـد المخلص من لجـج البحـر، فاعلمـوا -أكرمكـم الله- أن التقصير ينتهي حسـبما في علمكم إلى مبدأ القصر، إلا أن الحكم في ابتداء القصر في مثل هذه المسـافة الجامعـة بـين الـبر والبحر، إذ لا يوصـل إلى هنالـك إلا بعد مجاوزة بيـوت المصر، قد اختلف المذهب فيها على قولين:

الأول لابن المواز[2] أنه: لا يقصر في ذلك إلا بعد البروز من المرسـى إن كان يسـافر بالريح، وإن كان يسـافر بغيرها فإنه يقصر قبل ذلك، وعن عبد الملك بن الماجشـون[3] أنـه: يقصر حـين خروجه من البلد، -أي فهو كغيره-، ولكـن الراجح قول ابن المواز، فعـلى هذا تجري نازلتكم على هذيـن القولين والذي يتحصل عندنا في ذلك الآن، أنكم إن نزلتم إلى البر ونويتم الإقامة هنا، -أعني في بلدنا القاطعة لحكم السفر-، أنكم تتمون الصلاة، وهذا أحوط في الخروج من الخلاف، -والله سبحانه أعلم-. وكتب محبكم علي بركة انتهى.

ولـما انجابت سـحائب تلك الموانـع، ولمعت بوارق تلك المصانـع، ودخلنا قصور تلك البنية، وصافحنا بدور الأمنية، آنست لمعان غرره السنية وجالست منه أيوب بن

---

1) باخت النار: سكنت وفترت.

2) هـو محمـد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله المالكي توفي سـنة 269هــ وقيل 281هـ، انظر عياض ترتيب المدارك 2 / 72.

3) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشـون القرشي أبو مروان المالكي توفي سـنة 212هـ، انظر عياض ترتيب المدارك 1 / 360 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 56.

الغرية، وأبا بكر بن عطية، ولم أزل له مرافقا، ولأريج شمائله ناشقا، وبكعبة محاسنة طائفا، ولأنوار بدائعه قاطفا، حتى قلت من حرارة الوداع تمنيا، ياليتني مت قبل هذا، وكنت نسيا منسيا.

السمّ من ألسن الأفاعي أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم ودموعي تجري لما دعا للوداع داع

غيره:

فأول صبري كان آخر سلوتي وآخر صبري كان أول أدمعي

وأنشدت عندما خامر الفراق بكؤوس صَابِهِ لُبِّي:

إن يوم الفراق أحرق قلبي وكواني الفراق بالنار كيا
إن قضى الله بيننا باجتماع لا ذكرت الفراق ما دمت حيا

ويعجبني تخميسي لهذين البيتين وهو:

جمرات الوداع والله حسبي زَلَعَت[1] كبدي وأودت بلبي
قلت مشتكيا إلهي وربي إن يوم الفراق أحرق قلبي
وكواني الفراق بالنار كيا

أهل حبي لم تزل في ارتفاع زفراتي من غداة الوداع
فوحق الوصال بعد انصداع إن قضى الله بيننا باجتماع
لا ذكرت الفراق ما دمت حيا

[إجازة علي بن محمد بركة الأندلسي للمؤلف]

وقد أجازني -رضي الله عنه- عندما نشقت أنفاس فاس، وعزمت على الرحيل من ذلك الكناس، بما لا يذكر معه الطباق ولا الجناس، وهذا نصه:

1) زلع الشيء: استلبه في خَتْل.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

أحمد الله الذي من أسند إليه أمره أعانه وأجازه، ومن صمد إليه دهره نال منه مرامه وحازه، ومن استمسك بعروته الوثقى، سمُك رباعُ مجدِه ورقى، ومن انتسب إلى علي جنابه، اكتسب شرفا وحظي بكريم مآبه، ومن اتخذه في المهمات سندا، وجده في جميع الملمات كافيا أبدا، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله، ونبيه وخليله، المنزل عليه أحسن الحديث، والمبجل بين الورى في القديم والحديث، الموصول بصلات موصولة، والمعلول بهبات لا مقطوعة ولا مفصولة، المرفوع قدره ونصابه، والمشروع شرعه الفائض عبابه، ثم على آله وأصحابه الذين آنسوا أحواله وآثاره، واقتبسوا أضواءه وأنواره، واقتفوا سَنَنَه، وأنهوا إلى من بعدهم سُنَنَه، وورثوا من تراث علومه بالفرض والتعصيب، وحدثوا بمشاهدهم معه من لم يظفر بحظ منها ولا نصيب، ثم على التابعين لهم المهتدين، الذين أصّلوا لنا أصول الدين، ووصلوا إلينا ما وضحت به المعالم للمسترشدين، صلاة وسلاما مترادفين إلى يوم الدين، وبعد: فإنه مذْ منّ الله سبحانه علي بالانخراط في سلك طلاّب العلم، والارتباط بأسباب أرباب الإدراك والفهم، لم نزل نتطفل على المولم منهم والآدب، وندخل عليهم في محافل الموائد والمآدب، ونستبق إلى التشبث بأذيال من حاز منهم قصب السبق في الفنون أصنافا وجملا، ونرافق رفاق المجيبين إلى دعوتهم غير مفرقين في ذلك بين النَقَرَى والجَفَلَى[1]، ونتشبه بهم معتقدين أن ليس في ذلك جناح، ومستندين إلى قول من قال: التشبه بالكرام فلاح، حتى اتّسمنا من سماتهم الرائقة بسمة، وتُوُسِّم فينا أنا منهم، وإن لم نحصل مما عندهم عند التأمل الصادق إلا على مثل سمسمة، فصار من أظهر الله له سبحانه منا الجميل، وستر عنه ما وراء ذلك مما هو أخصُّ أوصاف هذا العبد الحقير الذليل، يأنس منا باللقاء والاجتماع،

1) الجفلى: هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامّة من غير اختصاص يقال: دعي فلان في النَقَرَى لا في الجَفَلَى.

ويلتمس المقام معنا برسم الانتفاع والاستماع، فكان ممن جمع الله بيننا وبينه شمل الوصال، ونفع لنا به الأوام الحاصل بالفطام والفصال، من شبّ به زمان الأدب بعد الهرم، وهبّ به أوان المجد والحسب، وقد أشفى على العدم، الذي ركض في مضامير البلاغة صافنات جياده، وَعَقَدَ شُذُورَ الْبَرَاعَةِ عَلَى لَبَّاتِ هذا العصر وَأَجْيَادِه، الجهبذ الأريب، المصقع الأديب، الثقف اللقن، المتفنن المشارك المتقن، الفقيه النبيه، الزكي الوجيه، ذو الفضل المعروف غير المنكور، أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور، الفاسي منشأ ودارا، الإدريسي محلّة وجوارا، أصلح الله مقاصده، وأنجح مساعيه ومراشده، فتذاكرنا معه بعض الفنون العبيقة النسيم، وأدرنا صحبته كؤوس شرابها الممزوج بالرحيق والتسنيم، وتجارينا في ميادين من العلوم، وتبارينا في قراءة دواوين أرباب الفهوم، فمِن أجلها -الذي من أحرزه كان في حلبات الفنون هو المجلي[1]-، «شرح جمع الجوامع» للإمام جلال الدين المحلي، فأتينا على جملةٍ من أوائله، يقتنع بها ذو الجيد المعطال، بما يحصل له بها من التحلي، وحضر معنا جملة جميلة المسالك، من «ألفية الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن مالك»، وورد لدينا موارد ينتفع بها ذو الغلَّة والغليل، من «مختصر الإمام أبى المودة الشيخ خليل»[2]، وشهد عندنا أماكن سنية سمية، من «التحفة العاصمية»[3]، وجلس بحضرتنا مجالس يرتاح لها المستمع والقاري، لما تضمنته من قراءة «الجامع الصحيح» للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إلى غير ذلك مما اصطبحه معنا واغتبق، واغتنمه من حرائرنا واعتنق، مما نسأل الله سبحانه أن ينفعنا به جميعا نفعا يفضي بنا إلى السعادة، ويودينا إلى الفوز بالحسنى

---

1) المجلي: هو السابق في الحلبة.

2) هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة المالكي توفي سنة 776هـ انظر ابن حجر الدرر 2 / 86 والتنبكتي نيل الابتهاج 168 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 223.

3) وهو المسمى تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام تأليف محمد بن محمد بن محمد بن عاصم أبو بكر الأندلسي المالكي توفي سنة 829هـ انظر التنبكتي نيل الابتهاج 491.

وزيـادة، ثـم إنه لما شـام على معاطفنا بريقا، وشـم من مطارفنا عبيقا، حجـا[1] أن ذلك مطلعه، وجعل أن ما بدا منه هو منبغه ومنبعه، فلما لوحنا له أن ذلك مقتبس من مطالعه الأصلية، وملتمس من مبازغه السـنية العلية، مطالع شـيوخنا منائر الأعصار، ومبازغ أعلامنـا معـاصر الأمصار، وأشرنا له إلى أنهم وشَّـحوا جيدنا المعطـل بحليّ إجازاتهم، وأباحـوا لنـا الرواية بها أخذنا عنهم، وبغيره مما ينسـب إليهم مـن حقائقهم ومجازاتهم، اشرأب حينئذ إلى أن نوشّحه بمثل ما وشّحونا به من الإجازة، واستحب أن نبيح له ما أباحوا لنا من أن نروي عن كل واحد منهم حقيقته ومجازه، فأكبرت أنا هذا الأمر الذي اقترحه مني غاية، وعددت أشد استحالة، من الجمع بين الفراغ وعدم النهاية، علما مني بـأني عن ذلك المرام بمعزل، وكوني في الحضيض السـافل ذا منـزل، وجزما عندي بأني والله لم أصل إلى أن أكون المُجاز، فكيف بأن أكون مجيزا لغيري، ولو على سـبيل المجاز، وإنـما المناسـب لحالي أن أكون ممن يعمّر عَجُزَ مجلس طلبـة العلم لا صدره، وأن لا أزال مسـتحضرا قـول القائل: عـاش من عرف قـدره، وهو مع هذا كلـه، لم ينثن عن وجهة الاقـتراح، ولم يسـتبن مني وجه الإبانة عن ذلك المطلـب والانتزاح، بل أخفى على كل ذلك مرط رغبته المنسـوج على منـوال التأميل، وأوفى لأجـل تحصيل طلبته على شرف حسـن الاعتقاد والظن الجميل، فلما حصحص أن ليس لي عن تلبيته مندوحة، زورت في نفسي أن آتي بالمعارض حسبما هي في ذلك طريقة غير مرجوحة، ثم خشيت أن يكون ذلـك غـير مقنع لمـن رامه، ولا منتفع به من طلبه وسـامه، فأزمعت أن أسـلك في ذلك -بحول الله تعالى- طريقة مثلى، وأمسك في الإبانة عما هنالك بعروة لا تنفصم ولا تبلى، وذلك بأن أذكر من قرأت عليه من أجلاء جلة الشيوخ، مع ما أخذت عنهم أو سمعت عليهم على سـبيل الثبوت والرسـوخ، ثم أنتقي ذكر لفظ بعضهـم في إجازته، ثم أطبق ذلك على مفصل ذي الطلب مني على وجه يحصل منه -إن شاء الله- على بغيته وإرادته،

1) حجا: أي ظنّ.

وعسى أن يكون هذا الوجه لا يرهقني من أمري عسرا، ولا يلحقني في الدين والدنيا مساءة ولا ضيرا، فأقول والله سبحانه المستعان، وعليه التكلان:

[ذكر الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي][1]

إن أجمل من امتلأت لنا منه العينان، وأخذت بحجزته منا اليدان، من الإفصاح بترجمته، مغن عن الإطناب في تحليته، إذ كان شمس ضحى هذه الأعصار، وقطب رحى المكارم بالمدائن والأمصار، الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحي من أمر دين الله ما كان في حيز الإهمال والشاسي: شيخنا وسيدنا وسندنا عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي[2]، قدس الله روحه، وأنس مهجعه وضريحه، فأخذنا عليه في علم الكلام، «المقدمات»[3] للشيخ السنوسي، و«صغراه»[4] وشرحها له، كل ذلك على التمام، وفي الفقه جملة يشفى بها الغليل، من «مختصر» الشيخ خليل، وفي الحديث المضاف إلى من فضّله الباري، «شمائل» الترمذي كلها، وأماكن من «صحيح البخاري»، وسمعنا عليه مواضع من تفسير الكتاب المبين، ومحال من كتاب حجة الإسلام «إحياء علوم الدين»، وقرأت عليه بنفسي، مع من حضر من أبناء جنسي، «الأربعين» حديثا للإمام محي الدين النواوي[5]، إلى غير ذلك مما كنت آرز[6] لأجله إلى حضرته العلية وآوي،

---

1) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

2) هو عبد القادر بن علي بن يوسف بن أبي المحاسن أبو محمد الفاسي المالكي توفي سنة 1091هـ، انظر القادري التقاط الدرر 217 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 315.

3) أحد مؤلفات السنوسي العقائدية وقد شرحها السنوسي وغيره، أهمها شرح إبراهيم البناني المسمى المواهب الربانية في المقدمات السنوسية وهو مطبوع.

4) صغرى الشيخ السنوسي المسماة أم البراهين.

5) هكذا مثبت في النسخة على غير المشهور، وهو صحيح كذلك. قال السخاوي: النووي: نسبة لنوى، والنسبة إليها بحذف الألف على الأصل، ويجوز كتبها بالألف على العادة، انظر السخاوي، المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي 21.

6) آرز: أفر وألجأ.

ثم أجاز لي بعد ذلك في كل مقروء له ومسموع، ومنسوب إليه ومجموع، وهو -رضي الله عنه ورحمه- يروي كل ذلك بأسانيده المتصلة إلى أرباب تلك المؤلفات، ورواياته الموصولة بأصحاب تلك المصنفات، عمن لا يحصى من مشائخ الإسلام، ومصابيح الأنام، حسبما رسم ذلك في إجابة الاستدعاء الذي ورد عليه من علماء المشرق، ووسم كلا منهم بما يبهر العقول من وصفهم المستنير المشرق، جعلنا الله سبحانه من المعقودين في سماطهم، غير المفقودين من محلهم وبساطهم.

[ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي][1]

ثم إن ممن أكمل الله سبحانه به علينا المرام، وأجمل لنا به بمحضرته المقام، نبراس الإيناس، ومنار أهل المغرب خصوصا أهل فاس، المتبحّر في حقائق العلوم، والمستأثر بدقائق الفهوم، العالم المحقق النحرير، الماهر المدقق ذو البحث والتحرير، نجل الشيخ المذكور أولا، ملاذ الوارد والصادر، شيخنا ومفيدنا أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر[2]، - أبقاه الله سبحانه للإفادة، ورقاه في أوج الكرامة والمجادة، فلقد لازمته جملة صالحة من السنين، وشددت على الاجتماع به يد الضنين، وجمعت من مجامعه جوامع العلوم، واستطلعت من قواميس بحوره نفائس الفهوم، فأخذت عنه في علوم العربية السامية السنام، «ألفية ابن مالك»[3] مرارا، و«لاميته» مرتين، و«توضيح» العلامة ابن هشام، وفي المنطق «السلم» وشرحه لمؤلفه مع البيان والإيضاح، وفي علم البيان جملة من «تلخيص المفتاح»، وفي فن الأصول ذي القواعد القواطع، طرفا من

1) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

2) هو محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف أبو عبد الله الفاسي توفي سنة 1116هـ، انظر القادري التقاط الدرر 292.

3) هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله توفي سنة 672هـ، انظر السبكي طبقات الشافعية 5 / 28 والمقري نفح الطيب 2 / 432.

متـن «جمع الجوامـع»، وشرحه للجلال المحلي مع الإبانة عما فيـه من الموارد والمنازع، وفي التوحيـد «صغرى» الشـيخ أبي عبد الله السـنوسي، وفي الفقه قطعة من «رسـالة» ابن أبي زيد القيرواني[1]، وسـمعت عليه «صحيح البخاري» مرتين، وكتاب «الشفا» للقاضي عياض بلا ريب ولا مين، إلى غير ذلك مما كنت أختلف إليه فيه من المسائل، وأفـاد نيه مكاتبة ومشـافهة مما يتعلق بالمقاصد والوسـائل، مما لسـت الآن بمحصيه، ولا مسـتحضره فأسـتقصيه، -نفعنـي الله وإيـاه بجميع ذلـك، ونهج بنـا جميعا أقوم المسـالك-، ثم منحني بعد ذلك إجازتـه العامة المطلقة، وأباح لي الرواية عنه بالأمور البيّنـة المحقّقـة، -جازاه الله سـبحانه على ذلك أحسـن الجزاء-، وكان لـه في الدارين وحقّق له البغية والرجاء.

[ذكر الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي][2]

ثـم إنه لما أراد سـبحانه أن يتوّجنا بتاج المعالم العلميـة، ويروجنا برواج المكارم، البهيّة السـنيّة، ألقينـا إلى مـن ألقت إليـه العلوم القياد، وانجابت عنه سـحب شموسـها بما خـرج عـن محل الاعتيـاد، البحر الزاخـر، والحبر الـذي يفخر به هـذا العصر الآخر، مالـك مِلاك العلوم، وسـامك سـماه ذي المنثور والمنظوم، محط رحـال أرباب المنقول والمعقول، ومناط همم أصحاب الإدراكات والعقول، الذي إذا قال فيه القائل:

إن الـزمـان بمثله لبخيل

يحق أن يقال له ما أصدقه من قيل، الهمام الذي لا يدع من جمعه الله به أن يقول: الحمد لله الذي أذهب عني بهذا السـيد عناي وبوسي، الشـيخ الإمام أبو علي سـيدنا الحسن

---

1) هـو عبـد الله بـن أبي زيد عبد الرحمـن النفزي القيرواني المالكي توفي سـنة 386هـ انظـر عياض ترتيب المدارك 2 / 492 وابن مخلوف شجرة النور1 / 96.

2) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

بن مسعود اليوسي[1]، أسمى الله سبحانه مكانته، وأدام كرامته، فإني قد استمسكت بغرزه مدة مديدة، وأنبطت من ينابع علومه عيونا سليلة الجرية حديدة، وتمتعت به في الحضر والسفر، ورجعت من عنده بفضل الله تعالى بتمام الفلح والظفر، فأخذت عنه -رضي الله عنه وكان له وبلغه من خير الدارين أمله-، في الفقه «مختصر» الشيخ خليل، مرتين بقراءة متوسطة بين التقصير والتطويل، وفي الأصول، «جمع الجوامع» مرتين على وجه محرّر الفصول، وفي علم المنطق والميزان «مختصر» الشيخ السنوسي، و«الجمل»[2] للخونجي بتحرير وتبيان، وفي علم الكلام والتوحيد، «صغرى» الشيخ السنوسي وكبراه: «عمدة أهل التوفيق والتسديد»[3]، وفي علم العربية جملة صالحة من «التسهيل»[4]، وشيئا من «ألفية» ابن مالك ولكنه قليل، وفي علم البيان والمعاني «الشرح المختصر على التلخيص» لسعد الدين التفتزاني، وقرأت عليه بنفسي قراءة إتقان وإيضاح، متن «تلخيص المفتاح»، وسمعت عليه أيضا في فنّ الأصول المهذّب المذاهب، نحو النصف من «مختصر» ابن الحاجب، وسمعت عليه في الحديث النبويّ، أماكن من «صحيح البخاريّ»، وجميع «شمائل» الترمذيّ، وسمعت عليه في بعض أيام المولد الذي يزري نسيمه بنسيم الرياض، كتاب «الشفا» للقاضي أبي الفضل عياض، وأخذت عليه في السِّير المعرِّفة بأحوال المصطفى، كتاب الإمام الكلاعي[5]

---

1) هو الحسن بن مسعود بن علي اليوسي أبو علي المالكي توفي سنة 1102هـ، انظر: الإفراني صفوة من انتشر 344.

2) كتاب الجمل في المنطق تأليف محمد بن نَامَاوَرْ بن عبد الملك أبو عبد الله أفضل الدين الخونجي الشافعي توفي سنة 646هـ، انظر الذهبي سير أعلام النبلاء 23 / 228 وابن قنفد الوفيات 320.

3) المسماة: عقيد أهل التوحيد والتسديد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد.

4) المسمى: « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو تأليف محمد بن مالك صاحب الألفية.

5) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري البلنسي الأندلسي أبو الربيع المالكي توفي سنة 634هـ، انظر: ابن فرحون الديباج المذهب 200 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 180.

المسمى «بالاكتفا»[1]، إلى غير ذلك مما لم يحضرني الآن، مما كنا استفدناه في ذلك الزمان الذي كان -و الله- مورق الأغصان، مونق الأفنان، مؤتلق اللمعان.

زمـــن مـــضى وكـــأنـــه   بـــرق تـــألّـــق بـالحـمـى
يـــا لـيـتـه لـــو دام لي   فـــأعـــدّ ذلـــك مـوسـما

نسأل الله سبحانه أن يجمعنا جمعا لا يعقبه عنا، وأن ينفعنا بما علمناه نفعا نكتسب به من خزائن الله تعالى الدائمة غاية الغنى.

[ذكر الشيخ أبي سالم عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي][2]

ثم إنه ممن حصل لنا بالاجتماع به اتصال بأهل الدرجة العليا، ومنال ممن لهم همم منوطة بالثريا، الإمام الهمام، المرحوم برحمة الملك العلام، المحدث الراوية العلامة، المشارك المتفنن الفهامة، صاحب التآليف المفيدة، والتصانيف المستقيمة السديدة، أوحد أهل زمانه أدبا ودراية، وأجدهم سببا ورواية، الذي استنار بأنوار أهل المشرق، واستأثر بخواص أهل المغرب، فنال من غربهم المغدق، شيخنا الجابر لما كان من آثار السلف من قبيل المتروك والمتلاشي، أبو سالم سيدي عبد الله بن أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر العياشي[3]، -أسبل الله عليه شآبيب الرحمة والغفران، وأرسل عليه يعابيب[4] الرأفة والرضوان-، فأخذت عنه الأربعين النووية، و«الوظيفة الزروقية»[5]، ثم أجاز لي على الإطلاق، وأباح لي الرواية والتحدّث عنه مع رعي حسن الاتّساق،

---

1) المسمى الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا.

2) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

3) عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف، أبو سالم العياشي المالكي توفي سنة 1090 هـ انظر القادري التقاط الدرر ص 212.

4) هي الأمور التي لا تنقطع المرسلة بغزارة.

5) وهي مجموعة من الأوراد والأذكار يلتزم المريد بقراتها يوميا أو عدة مرات في اليوم.

قائلا -رحمه الله- بعد كلام هو فيما كتبه لي مسطر، وكل ذلك بأسانيدي المذكورة في رسالتنا «اقتفاء الأثر»[1]، ثم ذكر لي سند المأخوذين المذكورين المتقدمين فقال:

أما: «الوظيفة» فأرويها عن والدي -رحمه الله-، عن سيدي أحمد أذفال[2]، عن الشيخ بركات بن محمد الحطاب[3]، عن والده عن الشيخ زروق[4] -رضي الله عنه-، وأرويها أيضا: عن سيدي أبي العباس خديم ضريح الشيخ زروق، عن سيدي محمد بن غلبون، عن سيدي أبي زعامة خديم الشيخ -رضي الله عنه-.

وأما: الأربعون فعن الشيخ إبراهيم الخياري، عن والده الشيخ عبد الرحمن عن الرملي، عن زكرياء عن ابن حجر بسنده. اهـ

ومن خطه -رحمه الله- نقلت وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[ذكر الشيخ أبي عبد الله العربي بردلة][5]

وممن كنا قرأنا عليه جملا من الفنون، واستمطرنا معه ودقها الصيّب الهتون، الفقيه النظّار العلاّمة، النبيه الدرّاكة الفهّامة، قاضي الجماعة بحضرة فاس -حرسها الله ونواحيها-، ومتولي ما يرِد من الأحكام الشرعية بقاصيها ودانيها، ذو الأخلاق الحسنة، والأعراق الطيبة المستحسنة، الحائز من سيب العلوم كثرة وقلة، شيخنا أبو عبد

1) واسمه الكامل هو: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر.

2) هو أحمد بن محمد أبو العباس الشهير بأذفال الدرعي توفي سنة 1023 هـ، انظر الإفراني صفوة من انتشر ص 68.

3) هو بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي المالكي توفي سنة 980 هـ انظر التنبكتي نيل الابتهاج 150 وابن مخلوف شجرة النور 279.

4) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس المالكي توفي سنة 899 هـ، انظر التنبكتي نيل الابتهاج 130، وابن مخلوف شجرة النور 267.

5) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

الله سيدي العربي بردلة[1]، -سدده الله وأيده، وأمده بعونه وأدام عليه مدده-، فقرأنا «مختصر الشيخ خليل» مرتين أو ثلاث مرات، وغير ذلك من فنون مختلفات، وروايته عن شيوخ أهل فاس، المستطير نورهم بين الناس، وخصوصا شيخنا السابق الذكر، سيدي عبد القادر الجليل القدر، ومن شيوخه الإعلام، شيخ الإسلام، الذي طار به طائر الاشتهار في الفقه وأنار آثاره، الإمام أبو عبد الله سيدي محمد مياره[2]، -رحمه الله تعالى، وأفاض عليه رأفته ووالى-.

[ذكر الشيخ حمدون المزوار][3]

وقرأنا أيضا بتلكم الحضرة العلية، النيرة الفاسية، على شيخ المعقول في زمانه، ومصباح العلوم العقلية في وقته وأوانه، العلامة المحصّل، المشارك المتأصّل، الصيّب المدرار شيخنا سيدي حمدون المزوار[4]، -رحمه الله تعالى ما توالى الأصيل والإبكار-، «مختصر» السعد التفتزاني، وجملة من متن «التلخيص» في علم المعاني، وسمعنا عليه شيئا يسيرا من «مختصر الشيخ خليل»، -والله سبحانه ينفعنا بالكثير من ذلك والقليل-،

[ذكر الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج][5]

وممن قرأنا عليه أيضا قراءة يسيرة، ذو الشمائل الرائقة العطيرة، أحد البصراء والنقّاد، ذو الذهن الوقّاد، الفقيه اللّوذعيّ، النبيه الألمعيّ، المحرز قصب السبق

---

1) هو محمد العربي بن أحمد بردلة الفاسي المالكي توفي سنة 1133هـ انظر القادري التقاط الدرر 320.

2) هو محمد بن أحمد أبو عبد الله ميارة الفاسي المالكي توفي سنة 1072هـ انظر القادري التقاط الدرر 151.

3) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

4) هو أحمد المدعو حمدون المزوار بن محمد بن الحاج الزجني الفاسي المالكي توفي سنة 1084هـ انظر الإفراني صفوة من انتشر 297 والقادري التقاط الدرر 195.

5) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

في جميع الفنون، والفائز بالحظ الوافر من سائر المتون، الحائز لدرجة الظهور لدى المناظرة والتّحاجّ، شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج، -أصلح الله أحواله، وأنجح مقاصده وآماله-، فسمعت عليه جملة من «رسالة» ابن أبي زيد القرواني، وأشياء يسيرة من «الألفية» الصحيحة المباني، وسنده في ذلك كله كسند قاضي الجماعة المتقدّم الذكر، وروايتهما معا عن الشيوخ العباسيّين ليس فيهما مدفع ولا نكر، والله سبحانه يتولى هُدانا أجمعين، ويجعلنا من السالكين المنهج الأقوم المتبعين.

هذا وإنه حيث تمّ ما أردت إيراده في هذا المكتوب، وأتيت فيه على ما فيه بحول الله الكفاية لطالبه والمطلوب، أوفي بإنجاز ما وعدت به فيما مضى، وأتحف من كان له الاقتضاء لذلك بحسن القضاء، فأقول له كما قال لي شيخي وسندي، ومعتمدي ومستندي، موئل الأكابر والأصاغر، سيدي محمد بن عبد القادر.

وها أنا قد ساعفته على ما طلب من الإجازة، وأذنت له أن يحدث عني، ويروي ويملي، وأجزته فيما قرأه وفي غيره مما أرويه -قراءة أو إجازة- إن صحت الرواية عن مثلي.

ثم أختم بما ختم لي إجازته، وتمّم لي به منحته وجائزته، وأُنشد ائتساء به إذ قال، ومن خطه نقلت فلا تكن متشككا، وأنشد ما أنشده غير واحد من المشائخ متبركا:

أجزتكم مروينا مطلقا وما   لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه عبد الله سبحانه، علي بن محمد بركة الأندلسي، -غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين-، في الرابع عشر [14] من شعبان المبارك من سنة أربع وتسعين وألف [1094هـ/ 1682م]، عرفنا الله خيرها وخير ما بعدها آمين انتهت، وبالحسن ازدهت.

قال كاتبه -لا غاضت من فضل الله مذانبه-: عمدة من ذكر من الأشياخ في هذه الإجازة، التي حوت حقيقة الإبداع ومجازه، بأنوار معارفهم اهتديت، وبأبراد محاسنهم ارتديت، وفي حياض علومهم كرعت، وفي رياض فنونهم رتعت.

[ذكر الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي]

فأما البحر الزاخر والطود الشامخ الراسي، الحبر الماهر مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي، -رضي الله عنه وأرضاه وبديم المغفرة والرضوان أسقاه-، فقد كنت أجلس لسماعه متبركا، أيام كنت في أحلام الصبا مرتبكا، وأزور مجلسه العالي، وجيد نجابتي غير حالي، وأتيمن في ابتداء المتون، بخط يده الميمون، -أسبل الله عليه من شآبيب الرحمة كل هتون-.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي]

وأما نجله الكريم، الذي تنجلي بغرته الواضحة دياجير الليل البهيم، الفاضل الأمجد، شيخنا العلامة أبو عبد الله سيدي محمد، لازال ذهنه الذي توقّد، يحلّ من دقائق المعاني كل ما تعقّد، فقد ملّكته مقاد ملاكي، وأنا لسلاح النجابة شاكي، فاغترفت من بحار نحوه، ما اعترفت بزلال صفوه، والتقطت من شذور بيانه وفرائد بديعه، ما باهيت القلائد بجمانه وترصيعه، وهو معتمدي في حلّ ما استصعب فصمه من عرى السرائر، وأشكل فهمه على النقّاد ذوي البصائر، لازال مكانه خطيرا، وسناه مستطيرا.

[ذكر أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي]

وأما حبر الأحبار، وجهينة[1] الأخبار، وزين القرى والأمصار، العديم النظير في سائر الأقطار، من أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسي، أعراني من ملابس بوسي، وألحفني بمطارف المسرات عن حنادس عبوسي، مولانا أبو علي سيدي الحسن بن

1) عند جهينة الخبر اليقين: يضرب هذا المثل في معرفة الأخبار، انظر الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب 2/ 169.

مسعود اليوسي، أطال الله مدّته، وحمى من نوائب الحدثان حوزته، فقد ورد في شوال سنة خمس وتسعين [1095هـ/ 1683م]هذه الحضرة، وأعارها بقدومه ابتهاجا ونضرة، وذلك بعد الفراغ من هذه الأوراق العذبة المساغ، فأقام بها أياما ونفع بها لكل ظمآن إلى رؤيته أواما، وأعاد نيران الجوانح على الأفئدة بردا وسلاما، فلازمت منه بحرا زاخرا، ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا، وتأثلت من أسراره في تلك المدة، ما أعددته لنوائب الأيام عدّة، ولمّا ظفرت بالاجتماع به، وأبان لي عن وجوه خرائد الأدب وعربه، سألته أن يشفع لي ذلك، بطريقة شيخه الذي سهل لمريد الحقيقة المسالك، وجلا بأنوارها دياجير الخطب الحالك، من ليس لفضائله حاصر، المولى العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر[1]، -قدس الله روحه، وبرد ضريحه-، فأنظرني -رضي الله عنه- لغد ذلك اليوم، فبات سهر يذود عن ورود جفوني سوام النوم، شغفا بمنار تلك الطريقة، وكلفا بمجاز تلك الحقيقة، فخاطبته بقولي، واضعا سهر ليلي.

[قصيدة طلب الطريقة الناصرية من شيخه اليوسي]

عن نور هديك ثغر الدهر مبتسم ... يا واحدا وردت من بحره هم
هشت للقياك فاس إذ حللت بها ... وفاس لولا سنا وجودكم عدم
فزهوها بك يا مولاي منتظم ... وأنسها بك يا مولاي ملتئم
أبهجت عبدك إذ وافاك مكتئبا ... إن الجوى بدنو منك ينحسم
وافاك يطلب نهج الناصرية إذ ... في الناصرية نصر ليس ينصرم
وأهالها رغبة ما كان أنفسها ... لمثلها تستعد الأينق الرسم
أمهلته لغد فبات في سهر ... ينجده الوجد إذا أعوزه الحلم
يخاطب الليل كي تفتر دهمته ... عن ثغر صبح فيبدو للمنى علم

---

1) هو محمد بن محمد بن أحمد ناصر أبو عبد الله الدرعي الاغلاني المالكي توفي سنة 1085هـ انظر القادري التقاط الدرر 196. وابن مخلوف شجرة النور 313.

يا عنبر الليل كافور الصباح أعد قد كاد يلحقني من طولك الهرم
إنْ لم تَـجُدْ لي بصبح صِحْتُ من أسف واحـــرّ قـلـبـاه ممـن قـلـبـه شبم
لا زلـت مقباس علم يستضاء به إذا بـدت ظلمات الجهل تزدحم

فساعدني -رضي الله عنه- في إنجاز مرغوبي، وقضاء مطلوبي، ولم أزل طائفا بكعبة أنواره، وقاطفا ما راق من أزاهر العلم ونواره، إلى أن ودّع راحلا، وأعاد بستان الأماني قاحلا.

[عودة إلى ذكر شيخه العربي بردلة]

وأما شيخنا الذي أنهله العلم وعلّه، وشغف بالدؤوب على التفنن وما ملّه، قاضي الحضرة، أبو محمد سيدي العربي بردلّة، -أعانه الله على طود الشريعة الذي قلّه-، فهو الذي سهل لي المجاز، إلى معرفة الحقيقة والمجاز، ولولا فهمه الصحيح، ما فرّقت بين التَّجريد والتَّرشيح، والكناية والتصريح، ولولا حسام ذهنه المنتضى، ما ميزت الحال من المقتضى، لا زال يفتح المغالق بفهمه، ويشرح الدقائق بعلمه.

[عودة إلى ذكر شيخه أبي البركات أحمد بن الحاج]

وأما شيخنا ذو النور الوهاج، الذي فاض بحر معارفه وماج، أبو البركات سيدي أحمد بن الحاج[1]، لازالت أنواره تسرج كل داج، فهو الذي أخرجني من الظلمات إلى النور، وألحفني بملابس السنا عن حنادس الديجور، وأولاني مقاليد الفنون، وأجناني أماليد[2] روضها الهتون، وطوقني قلائد شعره، الذي يبدأ المغمور بذكره، وهو ما راجعني به عن قطعة.

---

1) هو أحمد بن العربي أبو العباس المعروف بابن الحاج الفاسي المالكي توفي سنة 1109هـ، انظر القادري التقاط الدرر 273.
وابن مخلوف شجرة النور 1 / 327.

2) أي: منحني جناها الناعم من روضها الهتون.

[قصيدة للشيخ أبي البركات أحمد بن الحاج مجيبا للمؤلف]

أفائقَ أربـــابِ البلاغة في الشِّعر ... وسابقَ فرسان الفصاحة في العصر
وممتطيا مـــن ذروة المـجـد رتبة ... سمت بك في أفق المكارم والفخر
جلوت علينا من محاسنك التي ... سموت بها نحو السماكين والنسر
عروسا من الأبـكـار ذات بدائع ... تفننـت فيهـا في أفانـين مـن سـحر
فتاهت وباهت وازدهـت بجمالها ... وحيَّـت بمعطـار الشَّـذا أرج النـشر
صبوت لها من بعد أن شاب مفرقي ... وقد زدت فوق الأربعين على عشر
ولا بدع أنَّ الحسن يأخذ مهجتي ... وأنَّ الهوى العذريَّ ملَّكته أمري
وصـــار لقلبي لومها وعتابها ... ألـذَّ مـن المـاء الـقـراح لـذي حرِّ
وأقـررت أنيِّ قد بخست حقوقها ... لترضى وان كنت الـبريءَ بلا نكر
فما سمعت أُذُناي عذب البحورتَسْـ ... تقي وهي ذات الفيض من ثَمَدٍ مُرِّ
عليك أخـي مـنّـي أزكـى تحيّة ... تكون كعشر العشر من واجب الشّكر
ودم في سرور رافـلا ثـوبَ رفعة ... ودهرك طلق الوجه يلقاك بالبشر

فَبِحُلاه طرزت أشـعاري، وإليه زففت أبـكاري، من بنات أفكاري، فمن ذلك ما مدحته به وأنشـد بين يديه، يوم ختمنا مختصر خليل عليه، وذلك في يوم الأحد عقب صفر سنة ثلاث وتسعين وألف[1093هـ/ 1682م] وهو:

[قصيدة للمؤلف في مدح أبي البركات أحمد بن الحاج]

لي الله قلبي كم يذوب من الذكرى ... وكم كبدي تفري وكم عبرتي تذرى
حنيني لمن قد شط عني مزارهم ... أتاح لي الأشجان من حيث لا يدرى
فيا دارنـا الغرا على الربوة الخضرا ... لدى الصدفين المشرفين على الحمرا

سقاك رذاذ الغيث من بعد وبله وزادك إلمـام الصبا بهجة أخـرى
وحيتك أنفـاس الأزاهــر موهنا وبث لك الأرواح من طيها نشرا
ذكــرت بمغناك الكريم معاهدا منضرة أذكــت لظى كبدي الحــرا
لــيـالي خـدني كـل يـئـود أغـيـد تجلى عـلى أطـواقـه وجـهـه بـدرا
يبيت يعاطيني سـلاف رحيقه فـأكـرم بـه بـدرا وأعـظـم بـه خمرا
إذ الـدهـر دهـر والـزمـان مساعد ونـور الصبا غضّ سقاه الحيا نورا
ولله لـيـل في ربـــاك سـهـرتـه عـلى ضفتي نهـر بشنيل قـد أزرى
كـسـاه ضـيـاء الـبـدر لامـة فضة وفتت ذبـال الشمع في متنه تبرا
فـشـبـه بـه نهـر المـجـرة حله عطارد والجوزاء والقطب والشعرى
أدرنـــا عليه الــراح راح مسرة وقـد مد جيش الليل ألوية سمرا
وأرخـى على ضـوء النهار ستوره وباتت نجوم الأفـق تزجره زجرا

ومنها:

كأنّ الـدراري الشـهب في كبد السـما قواريـر بلـور عـلى لجة خـضرا
كان سـهيلا إذا تألـق مفـردا صريـع هوى قد نـال من حبـه هجرا
يـريـد الـثـريـا والـبـعـاد يعوقه وهيهـات أمـا الصبر عنهـا فلا صبرا

ومنها:

كأن ضيـاء البـدر والشـهب حولـه سـنى شـيخنا ابن الحاج في حلقة الإقرا
يـكاد يريـب الجاهلـين شـعاعه إذا لمحـوا أنـواره في الدجـا تـترى
يقولـون جهـلا إذا أضـاء معالما أبـدر بـدا أم بـارق قـد سرى مـسرى
بـلى إنـه نـور الهـدى لاح في الدجـى دجى الوهـم فانزاحـت دياجيره تفرى
فيـا وهـم مـا أدجـاك في أعـين الـورى ويـا وهم ما أجـلى سـطوعك إذا ورى

تجلت به غيد العلوم عرائسا ... فشاهدها من كان لا يبصر البدرا

إمام حباه الله علما وسؤددا ... وخوله حلما وأعظم به فخرا

إذا استصعبت غر المعاني لمعشر ... وقد وجموا قالت طلاقته بشرا

وروضها حتى تذلل صعبها ... وخاطبها سرا فدانت له جهرا

همام تردى بالصيانة والتقى ... له خلق زفت له الحمد والشكرا

صبور على هجر الألى ساء طبعهم ... صفوح على ذي هفوة أوجبت نغرا

مصيخ لمن أبدى إليه معاذرا ... حليم على الجهال يبدي لهم بشرا

تأبى عن الأقذار لا متهولقا ... حوى همما ما نال أيسرها كسرى

فلو بلغاء العصر راموا خصالها ... لما بلغوا منها ولو كثروا عشرا

فإني لمغمور الحشى وهو واحد ... يحيط بها نظما ويودعها شعرا

وهبني امرئ القيس بن حجر وخاله ... أأقدر أن أحصي الكواكب والقطرا

وهاك عروسا من بنيات خاطري ... تطاول خودا ألبست حلة حمرا

شريفة قدر لم أجد كفوا لها ... سواك أبا العباس فاهنا بها بكرا

رشوفا أَنوفا عذبة القول غادة ... معطرة أرجو القبول لها مهرا

فلا تنتقدها بالملام فإنني ... أحملها بيتا يكون لها عذرا

فإن الذي يهدي إلى مصقع شعرا ... نظير الذي يهدي إلى طيبة تمرا

وها أنا غائص في بحره الزخار، آناء الليل وأطراف النهار، -أبقاه الله مطلع الأنوار، ومنبع الأسرار-، ولنقصر عنان الكلام، بقدر الطاقة في هذا المقام، مخافة أن يقال: مادح نفسه يقرئك السلام، وتنزيها لذكر هؤلاء الأعلام، على سبيل الاستطراد والإلمام، مع أن الخروج عن المقصود، ليس هو في كل مقام بمحمود، ولو لا ذلك لصدحت بمفاخرهم التي ملأت الأغوار والنجود، ورقّمت بها المهارق رقم البرود، وإذا كثر

بحول الله اطلاعي، وغزر ماء نقاعي، فلأحلين بمحاسنهم عاطل رقاعي، ولئن رمت قرائحي، فلأقلدنهم أطواق مدائحي، وأبوح في فضلهم بما بين جوانحي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه الواضحين نجوما في ديجور الخطب البهيم، صلاة وسلاما دائمين لا ينقطع نشرهما ولا يريم، ما فاح شميم، ونمّ بأسرار الأزهار نسيم.

قال كاتبه، جمحت إليه مواكب الإحسان ومعاقبه، قد انتهى والحمد لله ما قصدته، وازدهى بدر تمامه كما أردته، وإذا تجلّى نوره للعيان، ونشقت نشر أزاهر روضه المونق الأفنان، فلا بأس أن أعنونه: «بنشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، من فضلاء أكابر الأعيان».

وكان الفراغ من تسويده صبيحة يوم الخميس سابع عشر [17] جمادى الآخرة من سنة خمس وتسعين وألف [1095هـ/ 1683م] بمنزلي من مولانا إدريس -نفعنا الله به- من فاس، -أبقاها الله عاطرة الأنفاس، طاهرة من أجناس الأرجاس، بمنّه وطَوْلِه-.

انتهى نسخها بحمد الله تعالى على يد مسودها ومنشئها أفقر العبيد، إلى ذي العرش المجيد، المذنب المأزور، المشفق من خلله المأثور، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي عرف بابن زاكور، كان الله له ولوالديه ولسائر المسلمين صبيحة يوم الخميس لثمان خلون [8] من رجب سنة خمس وتسعين وألف [1095هـ/ 1683م] -عرفنا الله خيرها، ووقانا ضيرها-.

قائمة المصادر والمراجع

1. عـادل نويهـض، **معجم أعـلام الجزائر من صدر الإسـلام حتى العصر الحـاضر**، ط 2، بيروت 1980م.

2. **اتجاهـات الرحالـين الجزائريـين في الرحلـة العربيـة الحديثـة**، عمر بـن قينة، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

3. الباجـي، سـليمان بن خلف بن سـعد بـن أيوب، أبو الوليـد (ت 494هـ)،**المنتقـى شرح موطأ مالك**، تحقيق د: محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2004م

4. المسـعودي، عـلي بن الحسـين (ت 346هـ)، **مروج الذّهـب ومعادن الجوهـر**، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، المكتبة التوفقية، القاهرة مصر، 2003م.

5. ابـن حجر، شـهاب الدين أحمد بن علي العسـقلاني، (ت852هـ) **الدرر الكامنـة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل بيروت،1993م.

6. ابن الحمصي، أحمد بن محمّد بن عمر الأنصاري، (ت934هـ)، **حوادث الزمان ووفيّات الشّيوخ والأقران**، تحقيق عبد العزيز فيّاض حرفوش،دار النفائس بيروت 2000م.

7. ابـن حجر، شـهاب الدين أحمد بن علي العسـقلاني (ت 852هـ) **إنباء الغمـر بأنباء العمر**، دار الكتب العلمية ط 2، 1986م.

8. السـخاوي، محمد بن عبد الرحمن(ت 902هـ)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسـع**، دار الجيل، بيروت 1992م.

9. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، (ت 799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العلمية ط1، بيروت 1996م.

10. المحبّي، محمد أمين بن فضل الله الدمشقي، (ت 1111هـ)، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر بيروت.

11. الإفراني، محمّد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصّغير، (توفي ما بين 1152هـ/ 1154هـ) **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق د. عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء المغرب،2004م.

12. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله،(ت 1068هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**.

13. **ابن قنفد**، أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني، (ت 809هـ)، تحقيق عادل نويهض،دار الأفاق الجديدة ط 3 بيروت 1980م.

14. ابن مخلوف، محّمد بن محّمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت.

15. القادري، محّمد بن الطيب، (ت 1187هـ)، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الأفاق الجديدة ط1، بيروت 1983م.

16. الداودي، شمس الدّين محمد بن علي بن أحمد، (ت 945هـ)، **طبقات المفسّرين**، تحقيق عبد السّلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت 2002م.

17. الحفناوي، محمد بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول، (ت 1361هـ)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة، ط 2 بيروت 1985م.

18. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط 9 بيروت 1993م.

19. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، **البداية والنهاية في التاريخ**، تحقيق د. أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ط 6 القاهرة 2002م.

20. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، (ت 1069هـ)، **ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدّنيا**، تحقيق أحمد عناية، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت 2005م.

21. ابـن المفتـي، ابن حسـين بـن رجب شـاوش،(ت بعـد 1166هــ)، **تاريخ باشـوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان**، بيت الحكمة ط 1 الجزائر 2009م.

22. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، ط 3 بيروت 1978م.

23. الزخشري، أبي القاسم جار الله محمد بن عمر، (ت 538هـ)، **المستقصى في أمثال العرب**، دار الكتب العلمية ط 2 بيروت 1987م.

24. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، (ت 429هـ) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال ط 1، بيروت 2003م.

25. كحالة، محمد رضا، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

26. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت 562هـ)،**الأنساب، تحقيق** عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان ط 1 بيروت 1988م.

27. الذهبـي، شـمس الديـن محمد بن أحمـد بن عثمان، (ت 748هــ)، **تذكرة الحفـاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

28. المنـاوي، زيـن الدّين عبد الـرؤوف، (ت 1031هـ)، **التيسـير بشرح الجامـع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي الرياض، ط1 السعودية 1988م.

29. **ابن حبان**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت 354هـ)، **الصحيح**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط 2 بيروت 1993م.

30. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن خاقان، (ت 528هـ)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية ط1 مصر2001م.

31. **أبو داود**، سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني الأزدي، (ت 275هـ)، **السنن**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

32. **ابـن ماجـه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 275هـ) **السـنن**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

33. **النسـائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت303هـ)، **السنن**(المجتبى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2 حلب 1986م.

34. **ابن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت 241هـ)، **المسند**، مؤسسة قرطبة، مصر.

35. **مالـك بن أنس**، أبو عبد الله الأصبحي، (ت 179هــ)، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

36. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 1990م.

37. **البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت 256هـ)، **الصحيح**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، ط 3 بيروت 1987م.

38. **مسـلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت 261هـ)، **الصحيح**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

39. القاضي عياض، عياض بن موسـى اليحصبي السـبتي، (ت 544هـ)، **ترتيب المدارك**، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت.

40. الفـاسي، محمـد بن أحمد المكـي أبو الطيب، (ت 832هــ)، **ذيل التقييد**، تحقيق كمال يوسـف الحوت، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 1410هـ.

41. السـبكي، تاج الدين عبـد الوهاب بن علي، (ت 771هـ)، **طبقات الشـافعية الكبرى**، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو والدكتور محمود الطناحي، القاهرة 1976م.

42. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي،(ت 1089هـ) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

43. العيدروس، عبد القادر بن عبد الله الحسيني الحضرمي اليمني، (ت 1038هـ)، **النّور السّافر عـن أخبار القرن العاشر**، تحقيق د. أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، دار صادر، ط 2 بيروت، 2002م.

44. الجيـلالي، عبـد الرحمن بـن محمد، **تاريـخ الجزائر العام**، ديـوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر 1994م.

45. جون ب.وولف، **الجزائر وأوروبا**،ترجمة أبو القاسـم سعد الله، الجزائر 1986م.

46. النّباهي، علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجدامي المالقي، (ت 792هـ)، **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط 1 بيروت، 2006م.

47. **الزركلي**، خير الدين، (ت 1976م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين،ط 5، بيروت 1980م.

48. بالحميسي، مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الجزائر 1979م.

49. كنـون، عبد الله، **النبـوغ المغربي في الأدب العربي**، مكتبة المدرسـة ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1975م.

50. محمد بن تاويت، **الأدب المغربي**، دار الكتاب اللبناني، ط2 بيروت 1969م.

51. حمدون، محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاجّ السّلمي الفاسي، (ت 1273هـ)، **رياض الورد فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد**، تحقيق د. جعفر ابن الحاجّ السّلمي، تطوان، المغرب 1999م.

52. **ابن حمادوش**، عبد الرزاق الجزائري، **الرحلة**، تحقيق د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1983م.

53. الفـاسي، محمـد بن أحمـد بن محمد بـن عبد القـادر، (1179هـ)، **المـورد الهني بأخبـار الإمام مولاي عبد السـلام الشّريف القادري الحسـني**، تحقيق عبد الرّحمن سـعيدي، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 2004م.

54. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير،(ت 1382هـ)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 2 بيروت 1982م.

55. الكتـاني، عبد الكبير بن هاشـم، (ت 1350هـ)، **زهـر الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1 المغرب 2002.

56. الكتـاني، محمـد بن عبد الكبير بن هاشـم، (ت 1362هـ)، **تحفة الأكيـاس ومفاكهة الجلاس فيـما غفل عنه صاحـب زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق د. علي بـن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب 2002.

57. القـادري، محمـد بن الطيـب، (ت 1187هـ)، **نـشر المثاني لأهل القرن الحـادي عشر والثاني**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1980م.

58. ابن زاكور، محمد بن قاسم بن محمد أبو عبد الله الفاسي،(ت 1120هـ)، **تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان**، تحقيق بوتشي السكيوي، المغرب 2003م.

59. ابن زاكور، محمد بن قاسم بن محمد أبو عبد الله الفاسي،(ت 1120 هـ) **الصّنيع البديع في شرح الحلّية ذات البديع**، تحقيق بشرى البداوي، الرباط، ط 1، المغرب 2002م.

60. أحمد الطريبق أحمد، **الكتابة الصّوفية في أدب التّستاوتي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 2003م.

61. التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي،(ت 1036هـ) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ط 1 ليبيا 1989م.

62. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر ط 4 بيروت 2005

63. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، **القاموس المحيط**، دار الفكر، ط 1، بيروت 2003م.

64. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911هـ)، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية ط1 بيروت 1403هـ.

65. الغزي، محمد بن محمد بدر الدين، (ت 1061هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة، ط2 بيروت 1979م.

66. د: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين،ط1 بيروت 1969م.

67. د: جلال يحي، **تاريخ المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان 1981م.

68. ProvenÇal Lévi, **Les Historiens des Chorfa**, Paris, 1922.

69. Léon Guérin, **Histoire Maritime de France**, Paris, 1851.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المواضيع

الناشر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع - الجزائر

حي راديوز عمارة أ رقم 06 الحراش الجزائر

e-mail: maarifaintern@hotmail.fr

website: www.algerianbooks.com

هاتف : 0555025271

الإيداع القانوني : 2729-2011

ردمك: ISBN 978-9931-347-08-8

طبعة خاصة

2011 م



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

في اطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

من ذخائر التراث المغربي

ثلاث رحلات مغاربية
رحلة ابن زاكور الفاسي المتوفى
(1120هـ / 1708م)

المسماة
نشر أزاهر البستان فيمن أجازني
بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان

رحلة
الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر
التنلاني التواتي الجزائري (المتوفى: 1152هـ / 1739م) إلى فاس

رحلة
عبد الرحمن بن إدريس
التنلاني التواتي الجزائري (المتوفى: 1233هـ / 1817م) إلى الجزائر العاصمة

تحقيق
مصطفى ضيف
محفوظ بوكراع